

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ نحن البعد الواحد
الاعتمادات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للادب والعلم والفن

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المستول
أحمد حسن الزيات
الإدارة
بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
الغابة الخضراء - القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

السنة السادسة

القاهرة في يوم الاثنين ٣ صفر سنة ١٣٥٧ - ٤ أبريل سنة ١٩٣٨ «

العدد ٢٤٨

محنة شهر !!

ذلك الشهر كان شهر مارس ! ومارس في أساطير الأولين
إله الحرب ! ابتليت فيه مصر الوديمة بسطوة الهوى على
الرأى ، وعدوان الشهوة على الخلق ، فجاءها بالخلاف وذهب
بالأمن ، وابتدأ بالصراع وانتهى إلى الفجيرة . فليت شعري
ماذا جنى الزاعمون^(١) على الناس من بلايا الناس ؟
كانت مصر طوال هذا الشهر كالبركان الجهنمي الثائر ،
يقلى بالحلم ويرى باللمح ويطغى بصهيده الخلق على المغاني والربوع
فيهلك الأموال ويذهب الأتس ، ثم يكون ظلاماً في الأرض ،
وقتاماً في الجو ، وتنتأ في الهواء ، ومواتاً في الطبيعة
وكانت الأمة المسكينة تنفق على معارك الانتخاب الدائرة
بين الأحزاب أكرم ما تملك من المال والدم والخلق ، وهي
لاتدرى لهذه الضحايا الغالية التي لا ثواب عليها ولا عوض منها ،
حكمة ظاهرة ولا ضرورة ملجئة
وكان المرشعون المتنافسون يتعاقبون على الدوائر الانتخابية
تعاقب السنين الواحق ، فلا يتركون وراءهم إلا أسراً تفرق ،

(١) زعم على الناس : تأمر عليهم وتراعى

الفهرس

صفحة	
٥٦١	محنة شهر ... : بقلم أحمد حسن الزيات ...
٥٦٣	داه الشعور بالحفاوة أيضاً : الأستاذ عبد الرحمن شكرى ..
٥٦٦	صفات النساء النفسية .. : الدكتور جيل صليبا ...
٥٦٨	من برجنا العاجي ... : الأستاذ توفيق الحكيم ...
٥٦٩	ليلة المرضة في العراق . : الدكتور زكي مبارك ...
٥٧٤	قضية القبة العربية ... : الأستاذ أحمد خاكي ...
٥٧٧	فلسفة القرية ... : الأستاذ محمد حسن ظاظا ...
٥٨٠	رسالة الأديب إلى الحياة { الآنة « مى » ...
٥٨٤	إبراهيم لتكون ... : الأستاذ عمود الحنيف ...
٥٨٧	حلي يزور باريس ... : الدكتور حسين فوزى ...
٥٩١	ربيع (قصيدة) ... : الأديب صلاح الأسير ...
٥٩١	إلى ... (قصيدة) .. : الأستاذ إبراهيم العريضي ...
٥٩٢	قصة الشتاء لشكبير (قصة) : الأستاذ دويي خشة ...
٥٩٥	محاضر ألماني في القاهرة — ميزانية التعليم في إنجلترا لنة ٣٨ — ٣٩ ...
٥٩٦	مجلة لكلية الآداب — ضرائب الأتليان في مصر الرومانية — فتاة إنكليزية تكتب عن مصر ...
٥٩٧	تيسير قواعد النحو واشراك البلاد العربية فيه — حصة مصر — الوعظ السلي في المساجد المصرية — الحسين بن علي
٥٩٨	مبتشرق فرنسي كبير يحاضر بالجامعة المصرية — المجلس الدولي للأعماذات العلمية — خطأ في نسبة شاهد ثري ...
٥٩٩	المرح واليأس ... : بقلم حبيب الزحلاوي ...
٦٠٠	(الفرقة القومية) ... : بقلم محمد علي ناصف ...

ووشائج تمزق ، وضمان تُشترى ، وذمماً تسرق ، وعصبية تُثور ،
وأحقاداً تُبعث ، وأموالاً تُهلك ، ودماء تُسفك ، وأعمالاً تُبور .
فتعالوا نناشدكم الله يا نوابنا وأحزابنا وزعماء الرأي فينا . هل
تشمرون بقتل هذه الأوزار التي تُحتموها في سبيل التكالب
على النيابة والتسابق إلى الحكم ؟

ألا تريدون أن تنسوا أن العضوية في مجلس النواب أو في
أندية الأحزاب ليست إلا وصفاً يتم العنوان ، ومنصباً يلزم التقى ،
ووسيلة تدين على العيش ، وطريقة تؤدي إلى الجاه ؟

ألا تحبون أن تذكروا أن النيابة عن الأمة معناها حلول
أمة في فرد ، واستيعاب فرد لأمة ؛ فهوها غالب على هواه ،
ورضاها مقدّم على رضاها ، ورأيها مستبد برأيها ، وصوتها مجلجل
في صوته ، وهما شاغل لفراع باله ؛ فإذا مثل النائب في المجلس
دور الكُبرس ، أو وقف في المناقشة موقف الإئمة ، كانت
نيابته بعد انتخابه مصاباً بعد مصاب ، وويلاً بعد عذاب ، وكفراً
بعد خطيئة ؟

ألا تريدون أن تفهموا أن البرلمان بالأمس كان حسبه أن
يكون مظهرًا من مظاهر الاستقلال ، وعنوانًا من عناوين الدولة ،
وأن العضو فيه كان حسبه أن يشارك في أبعته ، ويشرب أكواب
الليمون في ردهته ، ويفتح مغاليق الأمور بقوة ؛ أما اليوم فهو
تعبئة لكفايات الشعب ، وتجميع لرغبات الأمة ، وتهينة لقواها
العاطلة وأسلحتها الكليلة أن تضمن لنا حق الحياة والكرامة ،
وللوطن حق العزة والسلامة ؟

الأسود الروابض على حدود الوادي تتحلب أفواهها شرهاً
إلى اقتراسه ، والنسور الحوائم على حواشي الوطن تترقب الفرص
لانتهاسه ، وطاغية روما الطموح ينذر الناس أنه يرصد الأهب
في البر والبحر والسماء لحرب جديدة . فهل يشق عليكم أن تدركوا
أن النائب في هذا الوقت المصيب عملاً غير الحفلات
والوساطات والفتنمية ، وأنه إذا دخل المجلس من غير مبدأ ، وجرى

فيه إلى غير غاية ، واستغل حقوقه من غير عمل ، كان داخلاً في
غير أهله ، ونازلاً في غير ملجئه ؟

أحزابنا متعددة كتعدد الأحزاب الأوربية في البرلمانات
الديمقراطية العظيمة ، ولها بمقتضى هذا التعدد أندية وصحف
وأتباع ؛ ولكنها تختلف عن أحزاب الأمم بأن ليس لها خطة في —
الإصلاح مرسومة ، ولا غاية في السياسة معلومة ؛ فهي إلى اليوم
تتميز بالأسماء لا بالبرامج ، وتتقارع بالمقالات لا بالخطط ، وتنافس
في بلوغ الحكومة لا في خدمة الأمة

من أجل ذلك كان مرشحو الأحزاب لا يجدون ما يقولون
في خطبهم الانتخابية غير الجمل الجوف ، والوعود المبهمة ، والنهم
الجريئة ، والدعوى المريضة ، والعيوب الخاصة ، حتى تركوا
البلاد من صعيدها إلى ريفها خجة من البذاء ، وغمة من البلاء ، —
ومزقاً من الأعراض والخلق

على أننا نرجو أن تكون هذه الحقبة آخر الحقن ، وأن تموت
في سبيل الوطن هذه الحزازات والإحن ، وأن تنكشف عماية
الحيرة عن عيون الأمة فتبصر وجه الرأي الذي نستقيم به الحال ،
ويستقر عليه الأمر ؛ فقد عودنا شهر مارس أن يكون حميد
الأثر في الحياة المصرية . ففي مارس من عام ١٩١٩ استيقظ
أبو الهول ، وشبت ثورة النهضة ، وتنافس في الجهاد النساء والرجال ،
وتعانق على الوداد الصليب والهلل ، وتسابق إلى الاستشهاد الشيوخ
والأطفال ، وسالت أنفس الشباب سخايا على مذبح الحرية ! —

وفي شهر مارس من عام ١٩٢٢ أُنقِيت الحياة ، وأُعلن
الاستقلال ، وصدر الدستور !

وفي شهر مارس من كل عام تتجدد الحياة ، وتهتز الأرض ،
ويورق الشجر السليب ، ويمرغ الوادي الجديد ، وينشد الربيع
الباكر أناشيد الجلال والحب والأمل !

محمد الزاوي

داء الشعور بالحقارة أيضاً

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

قرأ أديب مقالة داء الشعور بالحقارة فقال إن الصفات التي ذكرتها صفات شائعة في النفس الإنسانية . وكأنه بهذا القول يريد أن ينكر أن في النفس ما يصح أن يسمى داء الشعور بالحقارة . فذكرت الأديب بأن صفات الخير والشر كلها موجودة في كل نفس ، فكل نفس منها نصيب قل أو كثير ، ولكن هذه الحقيقة لا تمنع من تفاوت النفس تفاوتاً عظيماً حسب نصيبها من صفات الخير أو الشر . ولا نريد أن ننكر أن جرثومة الحقارة تلتقي حتى في النفوس العظيمة ؛ هذا أمر نريد أن تثبته وإلا ما استطاع القارئ أن يعترف بما ذكرناه في مقالنا من أن داء الشعور بالحقارة قد يصير وباء في بعض البيئات ، وأن له عدوى كعدوى الأمراض الجذمية ؛ فلو لا هذه الجرثومة التي تشترك فيها النفوس قاطبة ما استطاعت نفس أن تؤثر في نفس أخرى وأن تحملها على محاكاتها في الأفعال أو الأقوال الناشئة من شعورها بالحقارة

إن صفات الخير أو الشر شائعة في النفوس الإنسانية ؛ وهذا سبب العدوى وسبب المحاكاة . ولكن شيوع صفة من الصفات في النفوس لا يجعلها مرضاً حتمياً ، وإنما تصير تلك الصفة مرضاً إذا غلبت على النفس وصارت محور أعمالها وأقوالها وطلعت على كل صفة أخرى أو حاولت هذا الطغيان وتعلكت الشاعر . وفي هذه الحالة يكون الداء النفسي في أشد حالاته ، ولكن له حالات أخف وأهون

وقد ذكرنا أن ذبوع داء الشعور بالحقارة يكون أعظم في الأمم التي ظلت مغلوقة على أمرها عصوراً طويلة ، غلبة تشمرها الدلة والسكنة سواء أكان الغالب قاهراً أم أنها من الخارج أوحاكاً من أبنائها . وتظهر أعراض هذا الداء إذا قلت وطأة تلك الغلبة أو زالت أسبابها وزادت الحرية ، فتبرز وتمتد صفات القلق والألم والحققد والحسد خشية أن يظن أحد إلى ما يشعر به صاحب داء الشعور بالحقارة في سريرة نفسه . وقد يكون شعوراً غامضاً

لا يتبينه تماماً فيتناظم تناظراً لا اطمئنان فيه ، لأنه تماوره الأحقاد والحسد فيتم تناظمه عما يظنه من الشعور وما يعالجه من داء الحقارة . وفي بعض النفوس يظهر الداء بمظهر التواضع وتحقير النفس تحقيراً يخالفه الحقد والحسد والقلق ، فتتم هذه الصفات أيضاً عما يعالجه المرء في سريرة نفسه من الشعور بالحقارة . وقد يعالج هذا الشعور وهو لا يدركه ولا يظن له تماماً ، وقد يدعى التواضع المصاب بداء الحقارة أنه أكرم خلفاً من التناظم بهذا الداء . ولم تقل إن داء الشعور بالحقارة لا يظهر إلا في تلك الأمم التي ظلت مغلوقة على أمرها عصوراً طويلة ، وإنما قلنا إن ذبوعه فيها أكثر ، وصفاته ومظاهره أكثر تنوعاً وتمعداً ، وأعراضه أشد ؛ من حب للظهور ومن دس وكيد وحقد وحسد . ولم تقل إن الكيد والحقد والحسد والتنافر ليس لها إلا هذا السبب وإلا هذا المصدر ، فلها أيضاً أسباب أخرى ، ولكن إذا ظهرت الصلة بينها وبين داء الشعور بالحقارة في مثل تلك الأمة أو البيئة الموصوفة كان هذا الداء هو سببها ، وحتى في حالات الأفراد المصابين بهذا الداء في بيئة سليمة منه قد تظهر صلات هذه الصفات بداء الشعور بالحقارة ظهوراً ليس مثله ظهور . أما في البيئات الموبوءة فليست الصعوبة في معرفة صلات هذه الصفات والمظاهر بالداء ، وإنما الصعوبة في حصرها وعددها ولم شملها وتشعبها تشعباً عظيماً ؛ وهذا التشعب والتفرع قد يبعدها عن أصلها لكثرة الفروع وفروع الفروع حتى يخيل للرائي أن لها أسباباً أخرى غير داء الشعور بالحقارة الذي هو منبعها وجذرها وجزعها في تلك البيئة ، فتكثر صفاتها أمام الباحث تكاثر الظباء على خراش . على أن المقل لا يجد صعوبة في أن يفهم منشأ هذا الداء في الأمم التي ظلت مغلوقة على أمرها عصوراً طويلة تشمرها الدلة والسكنة ، ثم جاءت الحرية . ومن لوازمها أن يخفى الحر ما يشعر به من صفات متوارثة أو غير متوارثة ، وهذه الرغبة في إخفاء ما في نفسه من داء الشعور بالحقارة قد تصير داء يتلمس كل وسيلة شريفة أو دنيئة ، وقد يشرف بصاحبه على الجنون أو يلغى ، وقد يدفع إلى الجرم . وفي اعتقادي أن مباهاة النفس للتمس من فقراء الفلاحين مباهاة ربما دعت إلى الجرم والإثم من أجل سبب نافه إنما تنشأ من هذا الداء ومن هذه

المؤثرات الاجتماعية القديمة الحديثة . وكذلك حب الظهور الذي قد يودى بالأملك ويؤدى إلى خراب الأسر إنما هو داء الشعور بالحقارة الخفي يبرز في شكل تعاظم مصحوب بالقلق والحقد والحسد . وهذه المظاهر تشاهد أيضاً في نفوس بعض الموظفين والطلبة وسكان المدن الكبيرة . ولا بد أن نقول مرة ثانية إن صلات هذه الصفات بداء الشعور بالحقارة في بيئة اعتورها ذل ثم حرية بعد ذل طويل ، صلات ظاهرة لا تنكر ، وإن تلك الصفات ليست في شكلها الذي تشترك فيه النفوس البشرية عامة بل زادت واشتدت حتى صارت داء ، وإنه لا يرجى رقي ولا تصالح تربية ولا يصلح تعليم ولا ترجى ثمراته كلها إلا إذا عولج داء الشعور بالحقارة وأعراضه

وكانت الحرية الكاشفة عن هذه الصفات الكامنة أشبه الأشياء في فعلها بالخر التي تظهر الصفات الكامنة ؛ فإذا كانت في طبع المرء شراسة أظهرتها الخمر إذا سكر ، وإذا كان في طبعه إسراف زاده الخمر إسرافاً حتى يكاد السكران يخلق كل ثيابه ويتصدق بها على الناس ؛ وإذا كان في طبعه ميل إلى الإجرام دفعت الخمر إلى ارتكاب الكبائر

وليس بين القراء من لم يشاهد مريضاً بداء الشعور بالحقارة ، ولكن ذبوع هذا الداء في بيئة يجعله مألوفاً ألفة تفقده الغرابة ، فلا يشعر به الإنسان في تلك البيئة إلا إذا بحث عنه وتمعد الفطنة له

وكما كان المصاب بداء الشعور بالحقارة مفلساً من العلم أو الدكاء كانت لاجته في جداله وحديثه أعظم ، وكان غضبه إذا خولف أشد ، وكان ادعاؤه العلم بكل شيء أوفى وأتم ادعاء ، وكان حقه على من يخالف رأيه أبعد أنراً وأطول عمراً وأعمق مقرأ من نفسه ، حتى ليكاد يأتي ربه يوم القيامة وأوضح أثر في نفسه حقه على من خالفه في رأيه في الحياة الدنيا . والويل لك إذا عاشرت من اشتد به داء الشعور بالحقارة ، فإنك إذا عاونه فقد عليك من أجل فضلك عليه الذي يهيب شعوره بدائه ، وإذا لم تعاونه فقد عليك أيضاً من أجل حاجته إليك التي تهيج شعوره بدائه . وكما كان المصاب بداء الشعور بالحقارة مفلساً من المال ادعى الثروة ، وقد يبلغ به داء الشعور بالحقارة منزلة بعض فيها بما

معه من المال على عياله كي يظهر به في المجالس والنواصي . وبين الغرياء ، بمظاهر الأريحية والسخاء والثروة . وهو يتلطف ، وقد يتذلل لمن يريد أن يقنمه أن صفات الأريحية والسخاء من صفاته وإن لم يكن من طبعه إلا الشراسة والحقد . وهو يحقد على كل من لا يمكنه من الظهور بمظهر التواضع والأريحية ومن لا يهيئ له السبيل إلى ذلك ، وعلى من لا يضحي بكل شيء في سبيل تهيشة وسائل الظهور له ، وعبثاً تحاول أن تنظر لدى من اشتد به هذا الداء بوفاء أو ود ، وعبثاً تحاول أن تفهمه حقيقة الأمر ، فإنه يخادع نفسه حتى يعتقد أنك تحسده على ماله من مظاهر العظمة أو الأريحية أو الدكاء النادر أو على منزلته في قلوب الناس . وفي البيئة التي يذيع فيها داء الشعور بالحقارة يعتقد كل إنسان أنه عظيم الشأن ، أو يحاول أن يعتقد هذا المتعد وأن يحمل الناس على اعتقاده ، ويرى أن أكبر جريمة في العالم هي أن يبيد إنسان أو أن يظن أن إنساناً أجاد (وإن لم يكن قد أجاد) في عمل أو قول أو جهد أو رأي أو صنع ، سواء أكانت الأعمال والأقوال مما يرجى فيه الخير للجميع أو مما فيه خير خاص ، وسواء أكان فيها نفع للمريض بداء الشعور بالحقارة أو لم يكن فيها نفع ، وهذا الحقد الذي يشعر به هؤلاء قد يخفي نفسه ويظهر بمظهر الحبس ؛ وقد لا يخفي نفسه . وقد يدعي النيرة على الخير والفضل ، وقد لا يدعي ، وهو دائماً كالحليوان في الغابة متحفز للثوب والظهور إذا أتيت الفرس ، فإذا لم تتح الفرص لم يتب . وكثيراً ما تراه في أوجه أصحابه عبوساً خاصاً يتم عن جنون الحقد ، وفي مثل هذه البيئة لا يعد المريض بداء الشعور بالحقارة الشقة مشقة إذا كانت من أجل إحباط عمل زميل أو غير زميل ، كأنما تلك البيئة رقعة الشطرنج بين يدي لاعبين ماهرين لا يبق كل منهما ولا يذر

ولعل السبب في أن الإنسان في تلك البيئة التي اعتورها ذل طويل ثم حرية لا هم له إلا منع غيره من الظهور (وكلما كان الظهور بالإجادة في صنع أو قول كان الخوف منه أعظم) أقول لعل السبب هو الرجوع بالسريرة والنفس إلى عهد ذلك الدل الطويل وطفيان الدين ظهوروا في تلك العهد طغياناً سبب ذلك الدل الطويل وسبب داء الشعور بالحقارة ؛ وربما ظهر الظاهرون في تلك العهد بقسوة أو إجابة فأصبح المرضى بداء الشعور

هذه الأعمال قد فعلها من نسبت إليهم أم أنهم حلوا على الاعتراف بها كدباً بوسائل جهنمية ، ولا ينفي هذا الاستنتاج أن السياسة الدولية وعملها السريين قد يستبيحون كل جريمة ضرورية وغير ضرورية في تنفيذ أغراض السياسة السرية وملحقات تلك الأغراض

ومن التلاميذ الصغار من يصاحب أهل الفساد أو المصايين بداء الشعور بالحقارة ، فيريد أن يخفي التلميذ شعوره بالنقص أو الفساد الذي لحقه بإساءة أديه . وكثيراً ما يحاكي الصغار هذه الطوائف حتى من كان منها من الرعاع فيحس كونهم في مشيتهم وإشاراتهم وأقوالهم ، ويحسبون أن تلك المحاكاة تكسبهم رجولة وبطولة من غير أن يشعروا أن الرعاع أو من هم أكبر منهم منزلة وأعظم علماً من المصايين بداء الشعور بالحقارة يصعدون ويردون في أقوالهم وأعمالهم وإشاراتهم وحركاتهم وهم مُسَيَّرُونَ لا مخبرون ، وأنهم في كل هذه الأحوال طوع شعورهم بالحقارة وطوع الرغبة في ستر ذلك الشعور فكأنهم لعب خيال الظل بحركتها المحرك من وراء ستار

عبد الرحمن شكرى

مجلة الرواية

أرقى مجلد قصصية صدرت في الشرق

تنزى عقلك وذوقك بروائع الأفاضل الموضوعة والمنقولة . تصدر عن دار الرسالة مرتين في الشهر ؛ واشتراكها في مصر ثلاثون قرشاً ، وفي الخارج خمسون . مجموعة سنيتها الماضية تشتمل على النص الكامل لكتاب (اعترافات في العصر) لألفريد دي موسيه ، وملحمة الأوديسة لهوميروس ، وكتاب (مذكرات نائب في الأرياف) لتوفيق الحكيم . وعلى ثلاث مسرحيات طويلة وعلى ١٢٠ أقصوصة من أدوع الأفاضل في أشهر اللغات ، وتضمن المجموعة في مجلدين ٣٥ قرشاً و ٢٥ قرشاً بدون تجليد عدا أجرة البريد

بالحقارة ، حتى بعد تلك المجهود القديمة البائدة ، يكرهون كل ظهور بقدرة أو إجابة لأن فيه مذلة لأنفسهم

وهؤلاء الناس قد يتعاونون في إظهار من برز بقدرة أو إجابة ولكنهم قلما يفعلون ذلك إلا إذا كانوا يرجون في إظهاره إظهاراً لأنفسهم وإبرازاً لها واكتساباً لأنفسهم شيئاً من الشهرة بالإجابة التي لصاحبهم ، أو إذا كانوا يرجون منه أن يماونهم بقدرة على الظهور وإشباع نهمتهم منه

ويبدو داء الشعور بالحقارة أيضاً بين طائفة الخدم والحشم والرعاع فيحسبون أنهم يخفون ما يشعرون به من ضمة منزلتهم الاجتماعية بمحاكاة من هم أرفع منهم منزلة في اللباس أو في قتل الشارب أو في التنجس أو في المكاهة أو في التمال والتعاظم على أصحاب الحاجات وكل من يريد مقابلة مخدومهم . وإذا كان المخدوم أيضاً مصاباً بداء الشعور بالحقارة ويخفيه بالسفاهة حرت وصرت لا تدرى أياخذ الخادم من أخلاق مخدومه أم يأخذ المخدوم من أخلاق خادمه . وكثيراً ما يتخذ كل منهما الآخر نصيراً في خصوماته التي يخلقهها من أجل شعوره بالحقارة . والفلاح الذي يغري المجرمين والأشرار بمن لا يجنيه وهو جالس على المصطبة ولا يتزلف إليه مثل الموظف الصغير للمنزلة أو كبيرها الذي يغري الأشرار بمن لا يتزلف إليه

وهذه الطوائف كلها تجنى على الصغار بتأثير قدوتها فيهم . وكثيراً ما يكون سبب إساءة التلميذ أديه رغبته في حب الظهور الناشئة من هذا الداء . وحب الظهور صفة عامة في النفوس كما قلنا ، ولكنها في البيئات المريضة بداء الشعور بالحقارة تتخذ شكلاً وضيماً خاصاً وهي تكون مصحوبة بالصفات النفسية الوضيعة التي ذكرناها . وبما يدل على أن داء الشعور بالحقارة ينشأ بسبب عصور القلبية التي تشعر بالذلة والمكينة أن صفاته تكثر وتشيع بين المييد وأبناء الأرقاء ، أو من كان أجدادهم أرقاء في العصور القارية وبين أبناء الشعوب التي ظلت مغلوقة على أمرها عصوراً طويلة خلقت التواء في الخلق ولؤماً . ولعل هذا الأمر يفسر ما تقرأ في محادثات قضايا روسيا من أعمال أبالة أدنياء كانوا أرقاء أو مغلوبين على أمرهم عصوراً طويلة ، فلما نالوا الحرية أظهرت ما كمن في نفوسهم ، وهذا سواء أكانت

صفات النساء النفسية

بين سذاجة الطفولة وعقوبة الفكر

للدكتور جميل صليبا

كثيراً ما بحث الأدباء في النساء وصفاتهن وما يحمدهن ويذم من أخلاقهن، فوصفوا المرأة الصالحة والزوجة الوافقة، كما أفاضوا في ذكر صفة المرأة السوء وشرها. فأحسن النساء عندهم من كانت شريفة في قومها، كاملة في عقلها، فصيحة اللسان صادقة محبة لزوجها، حافظة لسرّها؛ وشريفة من كان كلامها وعيداً وصوتها شديداً، تدفن الحسنات وتفتش السيئات، صخوب غصوب ضيقة الباع. إلا أن هذه الصفات التي ذكروها لم تكن على استقرار على ولا تحايل نفسي. فما هي صفات النساء وما هي أنواعهن عند العلماء؟

بينما كنت ذات مرة ألقى درساً في علم النفس على تلاميذ لم يتجاوزوا الثامنة عشرة من سنهم قال لي أحدهم بعد أن ذكرت صفات الحوادث النفسية: هل تنطبق هذه الصفات على المرأة، أم في الأرواح تذكر وتأنيث؟

إن هذا السؤال — بالرغم من سذاجته — يتضمن شبهة فلسفية عميقة. فهل تشعر المرأة كما يشعر الرجل؟ وهل تفكر كما يفكر أو تريد كما يريد؟ وهل تختلف مشاعرها عن مشاعر الرجل كما يختلف جسمها عن جسمه؟

قال بعضهم: إن الفرق بين المرأة والرجل في الحس والفكر والإرادة عظيم جداً، وإن المرأة كانت في الجماعات الابتدائية للرجل لا فرق بينها وبين المبد، حتى لقد ذكر لكوفه Legouvé أن أحد الجامع المقدسة في القرون الوسطى تناقض في هذا السؤال: هل للمرأة نفس أم يتفرد الرجل وحده بهذه الصفة الإلهية؟ وقد ساقهم إلى هذه المناقشة ما جاء في التوراة عن خلق المرأة من ضلع من أضلاع الرجل، وقول آدم: هذه عظم من عظامي ولحم من لحمي، وعدم قوله إنها ذات نفس شبيهة بنفسه.

وزعم آخرون أنه لا فرق بين الرجل والمرأة في الحس والعقل والإرادة، وأن الفرق بين الرجال أنفسهم أكثر من الفرق بينهم وبين النساء. فما قاله أفلاطون: لا فرق بين الرجال والنساء. يجب أن يكون عدد النساء في جيش الجمهورية مساوياً لعدد الرجال.

ويجب عليهم أن يتعلمن استعمال السلاح وركوب الخيل. وينبغي لمن أن يزعن ثيابهن لممارسة الرياضة البدنية وألا ينجلن من ذلك كله لأن أحسن نوب يصون المرأة هو نوب الفضيلة. ومما قاله كوندورسه: يجب أن يكون التعليم واحداً بالنسبة إلى الجنسين لأن المرأة مساوية للرجل. ومما قاله مدام (نكردوسوسور): إن البنات لا يختلفن عن الصبيان أبداً قبل العاشرة من السن.

فالباحث عن حقيقة المرأة إما أن يكون مثل بوسويه الهازي* بريئة النساء وزهوهم فيقول لمن: لا تنسبن يا سيداتي أنكن خلقن من ضلع زائد من أضلاع آدم؛ وإما أن يكون مثل أفلاطون الخيالي فيتصور مدينة فاضلة قائمة على سواعد الرجال والنساء معاً. وهذه المباحث الأولية لا تكشف الفطاء عن حقيقة المرأة، بل هي على مثال ما ذكره سائر الأدباء أقوال خطائية لا توضح الأمر بل تزيد ظلاماً، حتى لقد قال (ريدرو) في ذلك: «إذا كتبت عن المرأة فأغمر ريشتك في قوس قزح ثم دش على أوراقك غبار أجنحة الفراشة، لأن المرأة هي موجود إلهي»

فلنرجع إلى علم النفس ولنسأل ما هي حقيقة المرأة ولندرس أحوالها النفسية على ضوء العلم الحديث

إن تحليل صفات النساء يكشف لنا عن أنواع مختلفة، ويمكننا إرجاع هذه الأنواع إلى أربعة:

- ١ — المرأة الطفل
- ٢ — المرأة الحساسة
- ٣ — المرأة الحساسة الذكوية
- ٤ — المرأة المفكرة

ولنبحث في كل من هذه الأنواع على حدة:

١ — المرأة الطفل: إن هذا النوع من النساء مشتت الفكر والقلب معاً؛ فلا هو منظم الحكم، ولا هو ثابت الحس، بل يتبدل من صورة إلى أخرى بحسب الأهواء والمواقف. وقد وصفه (ديكنس) في روايته دوريت الصغيرة (La petite Dorit). وبين العلماء أن له نوعين: الرضي والطبيي. فالرضي يعرف بشدة قبوله للتلفين، والطبيي يشتمل على النساء الخفيفات العقل الكثيرات الزهوالوان يتنقلن كالطير من فنن إلى آخر؛ أو يشتمل على النساء الواسعات الخيال الكثيرات الفلق والمظلمات الأمل؛ فإذا تكلمن مزجن الحقيقة بالخيال وأسرعن في التعبير عن أفكارهن أو تقدمت الألفاظ عندهن على الفكر. وقد يملن إلى الاطلاع وبرغن في الكشف عن خوافي الأمور، إلا أن ميلهن هذا بعيد جداً عن

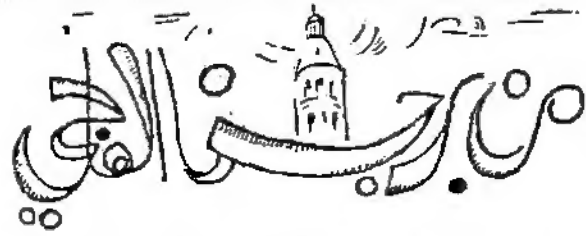
حبة العلم ، فمن يرغب في المعرفة لا للمعرفة نفسها بل لحاجة في نفوسهم تدفعهم إلى الحديث . وإذا رغب في شيء مجرداً عن المنفعة المباشرة رضين بالقليل منه واكتفين باليسير . قلت لطفل مرة : إذا أعطيتك ثلاث برتقالات وأخذت منها واحدة فكيف يبقى معك منها ؟ فقال علي الفور : كيف تقول لي إنك أعطيتني ثلاث برتقالات وأنت حتى الآن لم تعطني شيئاً ؟ فالمرأة الطفل لا تختلف عن هذا الطفل في طلب العلم . إنها تفضل المحسوس على المجرد ، والقريب النفع على البعيد القصد . فهي إذن مثل هذا الطفل الذي لا يعرف الحساب إلا إذا تذوق حلالة البرتقالة

٢ - المرأة الحساسة : يختلف هذا النوع عن الأول بشدة الماططة وعمق الشعور وتغلب القلب على العقل . إن المرأة الحساسة لا تقيس الأشياء إلا بقياس الماططة ولا ترزها إلا بيزان الهوى . فكل ما وافق هوى من نفسها صحيح ، وكل ما أضرمت عنه فاسد . لقد جاء في بعض روايات (جورج ساند) شيء من صفات هذه المرأة . إنها تنسى هواها القديم عند وقوعها في الهوى الجديد ، ولا تهتم بوقوعها في التناقض واتقائها من ضد إلى آخر . نعم إن الرجل نفسه خاضع لمنطق العواطف ولكنه يحاول في كل حال من أحواله أن يبرر عواطفه ويحمل هواه معقولا . مثال ذلك : أن (ألسست) Alceste يقول عن نفسه إنه لا يحب سيليمن Célimène إلا ليرجع إليها الفضيلة المفقودة ، فهو إذن يجيد لهواه سيبك معقولا . أما المرأة فلا تهتم بهذه الوسائس ولا تميل إلى سفسطة التشكك ، بل تملن الأمر كما هو ؟ فإذا كرهت رجلاً كان قلبها وحده مبرراً لها في كرهها ، وإذا أحبت شخصاً لم تبحث عن الأسباب الباعثة على تعلقها به ، بل تصنى إلى نداء قلبها من غير أن تجد حاجة لتحكيم العقل . إن هذا النوع من النساء شبيه بالنوع الأول في خوفه من التجريد ، وعدم ميله إلى الحق . إن فكرة العدالة مفقودة عندهذين النوعين ، والنساء على الأغلب لا يملن إلى العدالة المجردة ، بل يفضلن عليها عدالة القلب . من ذا الذي يستطيع أن يقنع الوالدة أن ابنها لا يستحق النجاح في الفحص ؟ العدالة ضيقة النطاق ، وقلب المرأة أوسع من أن يتقيد بهذه الحدود الضيقة . قد تكون المواقف للمقل نوراً وللإرادة قوة ، وقد يبعث الهوى على التضحية الخالصة فيذهب إلى ما وراء العدالة ويكشف الحجاب عن ذخائر القلب فيشرها ويذبحها ولكنه كثيراً ما يشوش أحكام العقل قبيلاًها ظلاماً .

٣ - المرأة الحساسة الزكية : وقد تكون الماططة مصحوبة بقوة من الذكاء خفية لا تخلو من الدقة وحسن الحياة ، فتربط المرأة عواطفها بأفكارها وتريد أن تغلب بها على مشاكل الحياة . إن هذا النوع من النساء قوى للملاحظة والانتباه والذاكرة ، واسع الخيال شديد الحس ، إلا أن قوة الحكم عنده مشوبة بدخان الماططة وسائق الغريزة . لذلك تجده قوى الشعور بالمنفعة كثير الميل إلى العمل . كالزوجة التي تشعر بالرابط الاجتماعي وتقدره حتى قدره وتبذل بعواطفها المغوية بالفكرة الاجتماعية أو الخلقية أو الدينية ؛ وكالوالدة التي تدرك نظام الحياة فتصور مثلاً أعلى له ثم تهتم أولادها للفوز في هذا النظام الجديد ؛ فهي تشعر بعشائ كل الحياة وتريد أن تغلب عليها بقوة الذكاء والإرادة . فكيف شاب لم يتطلع إلى العالي إلا بتأثير والده ! وكما رجل لم يقدم على المقاصرات السياسية أو المالية إلا بدافع من زوجته ! وكثيراً ما تكون المرأة هي القوة المحركة والدماغ المفكر والعقل المدبر ، ويكون الرجل هو الآلة المتحركة والواسطة المبلغة .

٤ - المرأة المفكرة : إن هذا النوع الأخير أقرب إلى الاهتمام بالباحث العلمية من الأنواع السابقة ، فهو يحب للاطلاع ميل إلى المعرفة ؛ إلا أنه كثيراً ما يضطرب أمام إشراق الفكر ويعجز جسمه اللطيف عن تحمل أعباء البحث . والسبب في ذلك أن النساء عشن حقياً بطويلة تحت وصاية الرجال بميدات عن الحرية والحياة ، فلا غرو إذا ترددن في البحث وشعرن بالقائ في قضاء الفكر . وبالرغم من ذلك فإن البنات أكثر اتساعاً للنظام من الصبيان . ولما تجد فتاة تفضل الكسل على الاجتهاد ، بل إن أكثر البنات يصغين إلى أساتذتهن ويكتبن الأمالي ، ويحفظن دروسهن ؛ إلا أنهن لا يزلن حتى الآن أقل جرأة فكرية من الصبيان ، لأنهن يعتمدن على القاكرة أكثر مما يعتمدن على قوة الحكم .

وقد تبين لعلماء العصر أن استعداد المرأة للرياضيات قوى جداً وأن في وسعها أن تنمو التفكير المجرد ، إلا أنها لا تزال قليلة الثقة بنفسها فلا تبحث إلا في الأشياء العملية النافعة أو في الأمور المحددة . ومع أن مدام بيير كوري قد توصلت في العلوم التجريبية إلى درجة عالية فإن تلميذات فرع العلوم في الجامعات أقل ثقة بنفوسهن من التلاميذ ، لأن التجريب العلمي يحتاج إلى جرأة وتنظيم ، وهذان الأمران لا يزالان حتى الآن بعيدين عن المرأة .



رأيت في نومي البارحة رؤيا أفزعني : رأيت أني تزوجت . ولم تبين الرؤيا كيف تم ذلك ، ولكن وجدت نفسي على فرش ونيرة من الدمقس الأزرق في حجرة جميلة ذات سجف من حرير متالق متواج الألوان كرقبة الحمامة . وسمعت حولي من يقول :

— هذا جهازها — جهاز من ؟ — عروسك —
— ومن الذي زوجني ؟ ومن المروس ؟
— من بيت حسب ونسب . ذات جمال ومال وحلاوة لسان . وهي فرسة كان لا بد من انتهازاها . وقد علت بك السن وكاد يفوت أوان الزواج

— ومن انتهز لي هذه الفرصة ؟
— أولاد الحلال ، من قرائك المعجبين الذين يهتمون لأمرك —
— شيء لطيف . وهؤلاء القراء المعجبون الذين زوجوني ، كيف فعلوا ذلك ؟ وأين وجدوا لي هذه المروس .. ؟
— لا شأن لك بكل هذه التفاصيل . ولا تشغل بالك إلا بما أنت فيه من نعم مقبم

— والمروس ؟ أسبق لي رؤيتها ؟ — لا . سترها الليلة —
— عجباً ! وكيف يزوجوني ممن لم أرها ونحن في القرن العشرين ؟ آه أيها الناس ! إن هذا جاوز الحدود ...
— هي أيضاً لم ترك — أقرأت كتي ؟
— لو كانت قرأت كتبك لما تزوجتك —
— وكيف إذن أقنعوها ؟

— قالوا لها عنك كل شيء إلا الأدب والتأليف . فقد وجدوا من الحكمة وأصالة الرأي كتمان ذلك عنها إلى أن يتم العقد ويتمتع النقض

وفتحت عيني في الصباح وأما أقول : « اللهم أحمك على استيقاظي قبل تمام العقد ، وقبل مواجهة الفتاة بذلك العيب الذي لا يقتفر ! نعم إن المرأة لن تتغير . إن شئون الفكر عندها شيء مخيف . وكلم من شمراء وأدباء أخفوا على نساءهم كنوز عقولهم ولم يظهروا لهم إلا كما يردنهم : رجلاً مستذل كبقية الرجال ! »
توفيق الحكيم

ومما يؤيد هذا أيضاً أن النساء اللواتي اشتهرن بالفلسفة (كيميانيا) وغيرها لم يدعن مذاهب جديدة بل اتبعن المذاهب القديمة وحللنها وهذبها . فالمرأة أقرب إلى الاتباع منها إلى الإبداع . وهي لا تقبل الحقائق المؤقتة ، بل تريد أن يكون كل شيء نهائياً . فتسبع على الحقائق العلمية حلة دنيئة وتقلب النسبي إلى مطلق . إن تلاميذ الفلسفة يفضلون الكليات الفلسفية على الجزئيات ، فيضخمون الفكر البسيطة ويعممونها حتى تشمل الكون كله . أما تلميذات الفلسفة فيملن إلى الجزئيات ويرغبن في التحليل دون التركيب : فمغل المرأة عقل تحليلي ، أما عقل الرجل فمغل تركيبي . نعم إن للمرأة واسعة الخيال ، ومن صفات الخيال الواسع أن ينشئ ويدع ، إلا أن خيال المرأة يصلح لتبديل صور الأشياء وتغيير حقائقها لا لإنتاج الفرضيات المنظمة وإصلاح الواقع بها .

تلك هي أنواع النساء من الوجهة النفسية . فالمرأة الحساسة تصلح للشعر والموسيقى والتصوير والتمثيل ، والمرأة الحساسة الذكية تصلح للحياة العملية من تجارة وإدارة ، والمرأة المفكرة تصلح للعلم والفلسفة . وقد تمتاز هذه الصفات فتجتمع في امرأة واحدة ، فيكون منها نوع معتدل صالح للقيام بجميع الأعمال . وقد أخذت صفات المرأة تتبدل في الحياة الاجتماعية الحديثة لأنها قد شاركت الرجل في جميع الأعمال من تجارة وصناعة وإدارة واقتصاد وسياسة ، فساقها التطور إلى استبدال كثير من صفاتها القديمة بصفات جديدة ، فاستبدلت بالحياء الجرأة ، وبالحشية الاقدام ، وبالسكون الحركة ، وبالسذاجة الحيلة ، وبالمبودية الحرية ، وبالماطفة العقل . وأعتقد أن هذه الصفات الجديدة لا تقصد جمال المرأة بل تريد سحرها قوة ، لأن العلم لا يجفف القلب بل يبدو ظلمات الفرزة ، وينير طرائق العقل ، ويكشف عن جمال الأشياء ، ويولد في المرأة صفات نفسية مشابهة لصفات الرجل في تفكيره وانفعاله وفعله ؛ ويقلب حياة المرأة الانبعاثية إلى حياة مفعمة بالحرية والإبداع . وما أدري لعل التطور يكشف لنا في المستقبل عن نوع جديد أكل من هذه الأنواع الأربعة تتحد فيه الماطفة بالفكر والإرادة بالعقل . إن الأحلام ليست أقل تأثيراً في التطور من اشتباك الأسباب الحقيقية واختلافها .

جميل صليبا

رئيس التلميم الثانوي بدمشق

ليلي المريضة في العراق

للدكتور زكي مبارك

- ١٤ -

نحن في اليوم الرابع من أيام المؤتمر الطبي العربي الذي بثّ
الابتهاج والانشراح في أرجاء بغداد ، وأنا أمضي إلى مدرج كلية
الطب لألقى محاضرتي عن المصطلحات الطبية فأجد اسمي فوق
اللوحة آخر الأسماء ؛ وأنلفت فأرى فتاة من قريبات ليلي جاءت
لتسمع محاضرتي فأحقد على منظم المهج ، لأن هذه الفتاة قد
تضجر فتصرف قبل أن تسمع صوتي ، فأنهز أقرب فرصة وأدخل
في مناقشة حامية مع الدكتور فؤاد غصن ؛ وبهزم الدكتور
فؤاد غصن ، فتصنق تلك الفتاة . وما أسعد الخطيب الذي تصفق
له فتاة بغدادية ساجية الطرف مصعولة الجبين :

رباه ! متى يُعقد المؤتمر الطبي مرة ثانية ولو في الصين ؟
ويقوم سمادة الأستاذ على الجارم بك فيلقى محاضرته في صوت
مطلول كأنه الصباح

ثم يقوم فضيلة الشيخ السكندري فيلقى محاضرة نفيسة جداً
تضج لها الأرض وتطرب السماء ، وبصيح الدكتور القيسي :

وأقبل عليه أشكره على التجة التي وجهها إلى مصر فيقول :
كنت أظن الدكاه المصري خرافة أذاعها المصريون . واليوم
رأيت وتحقق أن المصريين أذكاء وعلماء ، وقد تبددت الصورة
الشوهة التي ارتسمت في ذهني بسبب الجحوش الذي شهدته فيمن
عرفت من الطلبة المصريين في باريس

وأعذر عن جحوش شبابنا فأقول : لا تلم شبابنا على الروح
والطرب ، فنحن شعب طال عهد بالهموم والأرزاء فهو يروح
عن نفسه بتكلف السرور والارتياح . أما سمعت قول شاعركم
الرهاوي في مخاطبة أم كلثوم :

يا أم كلثوم إننا أمة رزحت تحت المصائب أحقاداً فسلينا
وبجي دوري في الخطبة فأعطي النبر في زهو وخيلاء . ثم
يروعي أن أرى الناس ينصرفون ، فأذكر أن الموعد كان للنداء
في مضارب بني تميم ، وأن المستمعين الكرام يفهمون جيداً أن

الفرق في الرق أشهى وأطيب من بلاغة سحبان !

وبري - مادة الدكتور عبد الواحد الوكيل بك أي متالم
متوجع فيهمس في أذني أن الدرج لم تبني فيه فتاة واحدة . فأسأل :
وكيف ؟ فيجيب بأن وعورة البحث الذي ألقاه الشيخ السكندري
أملت جميع الفتيات فانصرفن عابسات . ويسرني ألا تشهد
فتاة مزعني فأقول : إلى الند ، إلى الند ، يا حضرات الزملاء !
وقبل أن أدخل في تفاصيل مأسأراه ، أذكر أنني زرت ليلي
شفافها الله في مساء ذلك اليوم فحدثني أن خطبة الشيخ السكندري
ملأت مسامع أهل بغداد ، ولكنها أنكرت أن يتحدث الشيخ
السكندري فيقول :

إن الأوكسيجين مشي أو كسيج ، وإنه يرفع بالآلف وينصب
ويجر بالياء

فأصرخ في وجه ليلي : هذا كذب ، هذا افتراء !
ثم أعرف بعد ذلك أن هذه دعابة ثقيلة أذاعها مصري خبيث
يقيم في بغداد

ولم أنجح في إقناع ليلي بأن هذا افتراء على الشيخ السكندري
إلا بعد أن هددتها بالفرق في دجلة ، ويلي تحبني يا بني آدم ،
فلا تستغروا أن يهولها هذا التهديد

ثم أخرج للبحث عن سيارة تنقلني إلى مضارب بني تميم
فلا أجد غير سيارة بالأجرة ، فأتردد ، لأنني لم أدر درهما واحداً
في بغداد ، فقد أنفقت مالي على المطابع ، وعند الله جزائي
وأهم بالزهد في الوليمة التيممية فسمع صوتاً يقول : سيارتي في
خدمتك يا دكتور زكي . فأنظر فإذا طبيب لا أعرف اسمه ، ولو
عرفته لشرفت به هذه الذكريات ، فأقول : ولكن ممي صديقان
فضيلة الشيخ السكندري والأستاذ عبد المنعم خلاف . فيقول :
سيارتي في خدمتكم جميعاً يا مولاي

وقبل أن أدخل في التفاصيل أذكر أنني أعطفت على عبد المنعم
خلاف لسببين : أما السبب الأول فلا أذكره ، وهو يعرف ما أعني .
وأما السبب الثاني فهو أن الشق يشغل نفسه منذ أشهر طوال
البالغ ، عن مصدر الوحي : الوحي الهائل الخطير الذي جعل
الدكتور زكي مبارك يكتب ثلاث مقالات في كل يوم بالرغم من
اشتغاله بالتدريس والتأليف . وسيموت الشق قبل أن يعرف
مصدر الوحي . وسيموت قبله مصريون آخرون يهملهم أن يعرفوا

كيف استطاع الدكتور زكي مبارك أن يكون أصدق من استرقت بغداد

ونمضي في السيارة على غير هدى في صحبة الطبيب النبيل الذي بنقلنا إلى مضارب بني تميم؛ ثم تلتفت فجأة فترى نحو عشرين سيارة تتعقبنا فنعرف أننا ضللنا مع أننا في رحاب عترة فوف الذي خلد اسمه أبو نواس في رحلته إلى مصر، مصر التي فيها الزمالك ومصر الجديدة وحلوان، والتي تسدل ستارها على الجداول المطيرة التي تشعت بعد رحيل إلى العراق

رباه ! إنك تعلم أن الظلام في مصر الجديدة أهدى وأطيب من النور الوهاج، فنتى ترجعني إليه !

ونصل إلى مضارب بني تميم فترى أفواجا من الفرسان ينتظروننا على طول الطريق وهم يحبوننا بأمانيد كلها وفق وحان. وفي زحمة الاحتفال يحيي طبيب نبيل فيدعوني للتسليم على سيدتين كريمتين، لا أذكر اسمهما تأدياً، ولو شئت لقلت إنهما من التفحات الربانية، وقد رحلت الأولى إلى القاهرة وبقيت الثانية في بغداد. فإليهما أقدم تحيتي وثباتي، والأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف. وبعد الساط، أو الساطان، أو الأسطة، كما يشاء كرم الشيخ حسن سهيل

ثم يشيع بين الجمهور أن رجلاً غرق في الرق، فيمسح الطفل الجليل الذي اسمه عمر : بابا، بابا، أحب أن أطمئن على الدكتور زكي مبارك. فيقول سعادة وزير مصر المغفوض في العراق : اطمئن يا بُني، فإن الدكتور مبارك من كبار الساجدين ويقف عميد بني تميم ليخطب فيشدد التصفيق؛ ويقف الشيخ السكندري ليخطب فيشدد الهتاف؛ ثم يقول صديق كريم بصوت جهوري : الدكتور زكي مبارك بلقي كلمة العراق، فيتلفت وزير المعارف قائلاً : ماذا؟ ماذا؟ فيجيب الصديق الكريم : الدكتور زكي مبارك يخطب باسم العراق : فيقول معالي الوزير : نعم، نعم، من حق الدكتور زكي مبارك أن يخطب باسم العراق

والتي خطبة رثانة أشكر فيها إخواني المصريين وأقول إن حياتي طالت في العراق وإنني لأحب الرجوع إلى مصر. فأرى دموع الشيخ السكندري تتحدر وأسمعه يقول : وهل نسيت سنتريس !

فأقول بصوت صاخب : ونسيت سنتريس ! ومن واجبي أن أسجل في هذه المذكرات أنني لم أرى في حياتي

أياماً أطيب من أيام العراق. وسأظل من أنصار العراق فيما بقي من حياتي. حياً الله العراق، ونصر الله العراق !

أما بعد فنحن في منتصف الساعة التاسعة من مساء ١٢ فبراير سنة ١٩٣٨ وهو مساء لم تشهد مثله بغداد منذ أجيال. وهذه سهرة في جو أمانة العاصمة أقامها الطبيب الشاب الدكتور شوكة الزهاوي. وهذا الدكتور زكي مبارك اللحد الفاجر فيما يزعمون، يتلفت عن صاحبة المينين فلا يرى صاحبة المينين.

ولكنه يرى الطبيب النبيل الذي سيقبل من أجله ترى بغداد يوم يفارق بغداد، فيستشير صديقه فيما يأتي وما يدع، فيعرف أن السهرة تنقسم إلى قسمين : قسم عربي وقسم أجنبي، فأقول : النبي عربي، ولسان أهل الجنة في الجنة عربي

وأضئ إلى القسم العربي فأجد الوزراء جميعاً وعلى رأسهم نخامة الرئيس. وأخرج عن وقاري فأضئ إلى رئيس الوزراء وأقول : سيدي، أسمح بأن أسجل في مذكراتي أن إيتارك الجلوس في المرقص العربي هو في ذاته تركية قليلة لثقافة الدوقية في حياة المروية؛ فينتسم ابتسامة القبول

وأعود إلى مكاني وأجعل قاي كله للمرقص، وما هو في الحقيقة بمرقص، ولكنه مسمى كما يعبر المصريون. وأنظر فإذا فتاة مليحة جداً تجلس بين القيان وعليها سماء القل، فيزججني أن تعجز عيونها الساحرة عن الاستبداد بألباب الناس، فأنظر إليها بترف وأرفع الكأس، فتنتظر بحنان وترفع الكأس، ولا يكفيني ذلك، بل أصنع الصنيع نفسه مع سائر القيان؛ ويتقدم رجل لم تذهب الكأس بوقاره فيقول : يا دكتور مبارك، إن مكانك قريب جداً من نخامة رئيس الوزراء ولعله يتأذى من مداعبة القيان، وأنا أرى أن ما تصنع لا يليق بمقامك

فقلت في عبارة صريحة : إن ما أصنع هو الذي يليق بمقامي

فتلثم الرجل وقال : لطفاً يا سيدي، لطفاً ! ولكن هل أستطيع أن أعرف جوهر رأيك في هذه القضية ؟

فقلت وأنا أجد كل الجدة : لست يا سيدي بفاجر ولا أنيم وإنما أنا رجل مؤمن، ومن واجب المؤمن أن يتوجه للآلام المنكوبين، وهؤلاء المننيات والرافعات يمانين أبشع نكبة قاستها الإنسانية، فهن مسئولات عن الوصول إلى قلوب الناس. وبأويل من يحكم عليه الزمن بأن يكون من صنعتة أن يرضى الناس؛ والناس يأسدي يذلب عليهم اللؤم فلا يقابلون من يخطب

لقد كنت من أعضاء الحزب الوطني ، وكنت من أوفى
الناس لمبادئ مصطفى كامل ومحمد فريد وعبد العزيز جويش .
وكنت أذيع مبادئ الحزب الوطني بلباقة في الجرائد الوفدية ،
وكان الوفديون يعرفون صدقي وإخلاصي وتواضعي فينساعون
ويدعونني أذيع في جرائدهم ما أشاء . ولما أمضيت مساهمة
التحالف بين إنجلترا وبين مصر قررت أن أؤلف كتاباً أدعو فيه
المصريين إلى أن يتذكروا دائماً أن إنجلترا كانت غزت مصر
ورزأتها بالاحتلال

فما الذي جد في أفق السياسة حتى أهتف بحياة إنجلترا في بغداد؟
ما الذي جد حتى يتغير زكي مبارك الذي أضع نفسه في
مصر بفضل حرصه على مبادئه الوطنية وانزاله عن الأحزاب
التي تملك مصابير الأمور في أكثر الشؤون؟

فقد كنت ألح من بعد فتاة تسارقتي النظر بمسكين ذرقاوين ،
وكنت لأملك الانتقال إليها ولا تملك الانتقال إلىي ؛ وكان
جاري رجلاً ظريفاً كسائر البغداديين ، فترك مقعده عمداً
لأستطيع دعوة الفتاة إلى جوارى . ولم تنتظر الفتاة الدعوة ،
فما هي إلا لحظة طرف حتى كان وجهها إلى وجهي ، وكنتني
بالإنجليزية فلم أفهم ، فاستوضحتها بالفرنسية فلم تفهم ، فقالت بلسان
عربي ملحون مامعناه : أرجوك أن تطلب من سليمان باشا أن تفتني :
على بلد المحبوب ودني

ودار الصوت على الحاضرين ويدها في يدي ، وعينها في عيني ؛
وتلطف الكرام الكاتبون فلم يسجلوا غير الجليل
وبعد لحظات همّبت الفتاة بالانصراف ، فجذبت يدها أقبليها
فسمحت بعد تمنع واستحياء

ولم يك غير موقفنا فطارت بكل قبيلة منا نواها
فواها كيف تجمعنا الليالي وآها من تفرقتنا وآها

ثم يجي اليوم الخامس فألقى محاضرتي في كلية الطب ،
وأعرب على الدكتور عبد الواحد الوكيل وعلى الأطباء المصريين ،
وأزعم أن أساتذة الطب في مصر من أكمل الناس ، ولولا ذلك
لنقلوا علوم الطب إلى اللغة العربية . ويصفق الحاضرون ، ويقبل
الجارم لهنتي فأقول : أنا تلميذك . فيقول : لقد بذدت أساتذتك .
ويجي المساء فأذهب إلى الحفلة التي تقيمها الجمعية الطبية
المصرية ، فأراها وأسفاه حفلة مصرية حقاً وصدقاً ، فلا شراب

رضام بنير الجحود ، فهل يسووك وأنت عراقي كريم أن أكون
من الكرماء ؟ هل يسووك أن أدخل السروز على قلب فتاة بائسة
تضي عليها الزمن الجائر بأن تطلب رضاي ورضاك ؟
فهذا الرجل قليلاً ثم قال : وما رأيك في هذا ؟
فقلت : وما هذا ؟

فقال : أما رأيت الراقصة ترفع التوب عن نغديها في وقاحة
وسفاهة ؟

فقلت : نعم رأيت ، ثم رأيت ؛ ولكن من الملوم ؟ إن
الراقصات يعرفن أن فينا القوي والسفيه والمجرم ، فهن يتقربن
إلينا بتزيين الرجس والدعارة والعش . ولو كن يعرفن أننا جميعاً
ننار على الكرامة لما جاز لأحدهن أن تكشف عن قدم أو ساق
ويقوم المغني المطرب محمد القومياجي فينشد :

أحبابنا قد فرق الدهر بيننا

فأصبح : قد جمع الدهر بيننا

فيعرف أنه لم يراع القام ثم تكون أغانيه بعد ذلك ضرباً
من الارتجال

وأنتقل من مكاني لأرى كيف تنوح الدنيا في المرقص
الأفريقي فأعثر على الراقصة التي كنت أذاعها بالكأس منذ
لحظات ، وأحيتها فلا ترد التحية ، كأنها ظنت أنني كنت في
مدايحها من الماجنين

إنني أفهم حالك أيها الصبية المسكينة ، ويسرنى أن أراك
تتمنين فالتاس كلهم وحوش . ولا أستثنى نفسي فلتحذري
وليحذر أمثالك من حسن الظن بالناس

طوّفت بالمرقص الأفريقي لحظات لأرى صاحبة المينين ، ولم
أجد لها أين ذهبت ؟ أين ذهبت ؟ دلوني فقد عيل صبري . وفوق
أي نخدة نام ذلك الخلد الأسيل ؟ يرحمك الحب يا قلبي !

نحيا إنجلترا !!

كذلك قلت ، قد هنى السامرون

نحيا بريطانيا !!

كذلك قلت ، فتعجب السامرون .

نحيا بريطانيا العظمى !!

كذلك قلت ، فضج السامرون

ومالي من ذنب إليهم علمته سوى أنني قد قلت بإسرحة أسلي
نعم فاسلي ثم اسلي تحت أسلي ثلاث تحيات وإن لم تكلمني

ولا رقص ولا غناء ، فأقول في نفسي فضحتونا يا ناس !

ولكن الدكتور عبد الواحد الوكيل ينقذ الموقف فيبقى خطبة يقول فيها إن الجمعية الطبية المصرية عرفت أنها تمجز عن إقامة حفلة كالتى أقامها معالى أمين العاصمة ، أو حفلة كالتى أقامها سعادة رئيس الجمعية الطبية العراقية ، فقررت أن تقيم حفلة ترقص فيها الخطب وينتفى فيها البيان
الله أكبر ! الله أكبر !

وكذلك قضينا ثلاث ساعات في سماع الخطب والفصائد ، ثلاث ساعات قضيتها في كرب ، لولا الخطبة الظريفة التى ألهاها سعادة المشاوى بك ، ولولا الوجه الأصبح الذى كنت أتمزى بالنظر إليه

ويجي اليوم السادس وهو رحلة إلى السدة الهندية وأطلال بابل

وأصل إلى القطار في آخر ثانية ، فقد كنت في شوارع غرامية عاقني عن مراعاة الموعد ؛ ولكن حظى كان سعيداً ، ولا أذكر كيف ، فقد تنادى بذلك بعض الوجوه الصَّبَّاح . وعَرَّ القطار على قرية اسمها الاسكندرية فأقول : لعل هذه هي البلدة التى ينسب إليها أبو الفتح الاسكندري الذى يروى عنه عيسى ابن هشام في مقامات بديع الزمان ؛ وأملأ عيني من تحيلها وأكواخها لا أكتب عنها كلمة في الطبعة الثانية من كتاب (النثر الفنى)

ثم بقذفنا القطار إلى السدة الهندية ، ولبتنا غرقنا هناك والسدة الهندية قنطرة طريقة على القرات ؛ وللغرات فيها هدير جَدَّاب يذكر بهدير النيل على الرياح المنوفى بالقناطر الخيرية . وقد وقفت على السدة الهندية لحظات ظفرت فيها بموعد سأنعم به يوم أعود إلى وطني ، إن كان لي إلى أرض الوطن معاد

لا تحزن يا قلبي ، فليست هذه أول غربة ، فقد كنت غريباً في كل أرض حتى في سنترس !

لا تحزن يا قلبي ، فأقرب الناس إلى الله هم الغرياء ، لأن الغريب يؤدي امتحاناً في كل لحظة ، وتدرسه العيون في كل مكان ، ويؤدَّى حساباً إلى كل مخلوق ، ويمجز عن إصلاح ما يُفسد المفترون

لا تحزن يا قلبي ، فكل غيم يثله سحور ، وكل ليل يقبه صباح .

لا تحزن يا قلبي ، فأما بجانبك أوعاك وأواسيك ، وسأ كفنك بدموعي إن قضى الله أن تموت غريباً بين القلوب لا تحزن يا قلبي ، لا تحزن يا قلبي !
ما هذا ؟ ما هذا ؟

أريد أن تفر من قفص الضلوع ؟
والى أين ؟ حدثني الى أين ؟ الى أين يا جاهل ؟ فأت تجمع الى قلوب عرفت من عندك كيف يحلو الطهو ، وكيف تُهرع الكأس بالكأس ، وكيف تطيب الأسماك والأحاديث . الى أين ؟ حدثني الى أين ؟ وهل لك وطن ؟ أينها القلب ؟ حدثني أين وطنك فقد نسيت ، أبتكون وطنك بين تلك القلوب الفوارد التى تضن عليك بخطاب تكاليفه عشرة فلوس ؟ أبتكون وطنك عند تلك الانسنة الغادرة التى قطعت حبل الود لأنى دعوتها لزيارتك متسكرة في بغداد ؟

أين وطنك يا قلبي ؟ أحب أن أعرف أين وطنك لأمضى معك اليه . أهو مصر ؟ كذبت ، ثم كذبت ، فلو عرفتك مصر حتى معرفتك لكان لك اليوم مكان مرموق ، ولكنك في مصر مسبوذ مجهول

قلبي ! قلبي ! رحمة الله عليك ، فقد سعد ناس بالرفق المزيف ، وشقيت أنت بالرفق الصحيح
وقد وصل ناس لأنهم كذبوا ، وتحلفت أنت لأنك صدقت . ونعم ناس لأنهم خانوا ، وشقيت أنت لأنك وفيت . وتقدم ناس لأنهم هزلوا ، وتأخرت أنت لأنك جددت . وانتفع ناس لأنهم غدروا ، وخسرت أنت لأنك وفيت
قلبي ! قلبي ! أحسن الله إليك !

أنظر يا جاحد ! فما نحن أولاء في رحاب أسد بابل ؟ وهذه صاحبة العينين . نعم هذه صاحبة العينين ، أما ترى يا قلبي ؟ أما ترى يا جاهل أن صاحبة العينين تنسجى زوجها بعنف لتظهر في الصورة بجانبك ؟ اعترف يا جاهل بأن الله رعاك حين كتب أن تظهر في صورة عالية في رحاب أسد بلروفي جوار صاحبة العينين . اعترف يا جاهل بأنك كنت في إحدى لحصاك أسعد القلوب مولاتي صاحبة العينين :

أعترف بأنى آذيتك بعض الإيذاء ، أو كل الإيذاء ؛ ولكن الشاعر مخفوق الذنوب ، لو تعلمين ؛ وقد قرأ الناس مذكرانى

في مجلة الرسالة فمرفوا من أنت . فهل أطمع يوماً في أن تعرف من أنا ؟ وهل يعرف زوجك الفضال أنني شاعر لا يهيمه غير أنس الروح بالروح ؟

المهم عندي يا مولائي أن يعرف أبناء العروبة أن الجبال غير مقصور على من أنجبت لندن وباريس وبرلين ، وأن في بغداد ودمشق وبيروت ومكة والمدينة وصنعاء والقاهرة والاسكندرية والمنصورة ودمياط وتونس ومراكش والمقدس وما شاء الهوى من الخواضر العربية أرواحاً فيها جمال وصفاء

مولائي صاحبة العينين :

لست بالرجل الفاجر ، كما يزعم الرجفون ، وإنما أنا رجل شاعر يؤمن بأن من الوطنية أن يحبب العرب في بلادهم بالاشادة بما فيها من صباحة وملاحة وأخلاق

فهل أستطيع أن أمر على بلدكم الجليل في طريقى الى مصر ، مصر التي فيها الزمالك وحلوان ؟ مصر التي فيها شارع فؤاد ، والتي فيها الزيات ومحمد الميراوى ومحمد عبد الوهاب ومدحت عاصم والمخلوق السخيف الذى اسمه عبس الله حبيب ؟ مصر التي فيها أحمد فريد رفاعى وطه حسين وإبراهيم مصطفى وأمين الخولى وعبد الحميد المبادى وأحمد أمين ؟ مصر التي فيها المكتبة التجارية والجامعة المصرية ؟ مصر التي فيها هوى القلب وشفاء الفؤاد ؟

مولائي صاحبة العينين :

أنا أشرف من العصاية التي حوسنتك منى ، فاسمحي لى بتقبيل قدسيك قبل أن أموت ، ولكن ... ولكن ...

ولكن أينسنى حديث العينين وصاحبة العينين ما شهدت يوم زيارة القوة الجوية العراقية ؟

إن تلك الزيارة تمثل روح العصر أصدق تمثيل ، فقد كان المفروض أن يحلق في الجو بعض أعضاء المؤتمر الطبي ، وكان المظنون ألا تظهر هذه الرغبة إلا عند عدد قليل من الأعضاء

ثم ظهر أن الناس كلهم يريدون امتطاء الطائرات حتى خشبنا ألا يمر ذلك اليوم بسلام

وما كان يهمنى أن أشارك في هذه النزعة فقد عرفت أمثالها من قبل وسجلتها في كتاب ذكريات باريس ، ولكني رجوت أن يكون هذا الزحام فرصة أداعب فيها فتاة أو فتاتين أو ثلاث

فتيات ، ثم هالني ألا أرى غير جماعات من « الخناشير » كلهم شعث غبر كأنهم قدموا من البليداء ، ومزاحمة هؤلاء ضرب من الضياع

ومع ذلك سمعت على الاشتراك في هذه النزعة ، ولكني لم أطلع ، فما كانت طيارة تنزل حتى يهجم عليها الناس كالوحوش ورجعت أنثر في أذبال الخلية فما كدت أصل إلى باب المطار حتى سمعت رجلاً يقول :

— أتريد أن تطير يا دكتور ؟

— نعم ، يا سيدى ، أحب أن أطيّر !

فدعاني إلى سيارته فركبت ومضينا الى ناحية قصبة بطلب طيارة وقال : « هذه في خدمتك قاذع الى مصاحبتك من تشاء » فنظرت فإذا سيدة « تائهة » فأخذتها منى وطارت

وعند النزول رأيت السيارة وصاحبها في انتظارى فركبت معه الى المقصف وأجلستنى مع جماعة من الضباط ، ثم قال بمد تناول الشاي والحلوى والفاكهة : « خذ حريتك يا دكتور وطوّف حيث شئت »

فلما تركته كان أكبر همى أن أعرف من هو ، فسألت فعرفت أنه سعادة أمير اللواء حسين فوزى باشا رئيس أركان الجيش ومع هذا يسحب ناس حين يرونى أطيل القول في البناء على العراق وأهل العراق

انتهت أيام المؤتمر ، سقاها الفيت ، ولكن جد ما لم يكن في الحسبان ، فقد أذاع رئيس الجمعية الطبية العراقية أن البصرة هي المدينة التي وُلدت فيها ليل المريضة في العراق . وكنت خليقاً بأن أعرف ذلك من قبل ، ولكن ليلي لم تحدثنى عن وطنها الأول ، ولم أسأل عنه ظمياء ، فرأيت الفرصة سانحة لأن أمضى مع أعضاء المؤتمر لرؤية الثرى المندى بالمطر والريحان ، الثرى الطاهر الذى عرف النعيم يوم كان يتخطر فوقه ذلك القند الرشيق إلى وطنك بالبلاى ، إلى البصرة ، إلى النخيل ، إلى شط العرب الذى تحترق في سبيله أمم وشعوب ، إلى وطن الجاحظ ، إلى وطن البرد ، إلى وطن مولاي الحسن البصرى أمتطى القطار في ظلام الليل

زكى مبارك

« للحديث شجون »

قضية اللغة العربية

للأستاذ أحمد خاكي

١ - التفرم واللفظ : يذهب الجمهور من الربين في العصر الحديث الى أن الغاية من التربية ينبغي أن ترمي إلى تدريب الطفل على أكثر أنواع المهارة التي تتطلبها حياته الحاضرة والمستقبلية ، والتي تقتضيها الحضارة وطلب الرزق . بل لقد آمن الكثير منهم بأن الحضارة في نفسها تقوم على المهارة فحسب ، وأن العصر الحالي يمتاز فيما يمتاز به بتلك الوجهة الآلية التي تلزمنا بها حاجات الحياة ، وأن التقدم رهين بما يحسنه الجماعة من أنواع المهارة ، وأننا لن نبليح للمثل الأعلى الذي يحدونا الى التقدم حتى نتقن أكبر عدد منها

ويذهب أصحاب اللغات الى هذا الرأي فيما يتصل بتعليمها . فقد آمن هؤلاء على كل ذلك وزادوا عليه أن تعليم اللغات هو في نفسه صرب من ضرور المهارة التي يجب أن يكسبها المتعلم حقاً ، يوفق بين نفسه وبين البيئة التي يعيش فيها . بل هو لا بد مرغم على كسبها اذا هو تطلع الى لون من ألوان الحياة أزمى من ذلك الذي اعتاده آباؤه وأجداده . فاللغة عند هؤلاء شبيهة بالنسي أو الجري أو تناول الطعام أو احسان الرماية أو الطيران . فهي لا محيص للناسي من أن يتلقاها في بيئته ، بل هو مجبول على تلقاها ما دام يرى أن حياته تقوم على الاجتماع بسائر الأفراد ، وأن اتصاله الفكري مع من حوله لا يستقيم الا اذا تلقى منهم كتابة وقراءة وحديثاً . واللغة فوق ذلك مهارة سامية جديرة بالاحسان لأنها تتحمل في أطوارها تراث المدينيات التي محدثت الينا ، ولأنها - اذا كانت أجنبية - مفتاح لمدينيات أخرى تطلعت في كادح البشرية نفسه

واللغة بمد ذلك دليل على التقدم الفكري لأنها الوسيط الذي تتجسد فيه الأفكار والآراء . وليست اللغة من ذلك الوجه إلا رموزاً أطلقت على المعاني التي تتدفق في نفس الإنسان . وهي التي تسيطر على موارد تلك المعاني ومصادرها . فكل كسب لتلك المهارة التي نسميها « اللغة » إنما هو تحديد لنذاتنا الفكرية . وكل تحديد لتمكيرنا إنما هو فتح جديد للمنطق والفلسفة بل فتح لسائر العلوم

فاذا كانت اللغة تعيض بالمفردات التي تصف كل فكرة دقيقة من تلك الأفكار ، وإذا كانت ألفاظها قد تطورت مع الحضارة حتى كانت كافية بأن تصف المعاني التي تنثال في خواطر المتحضرين ، كان ذلك دليلاً على كفايتها في مسيرة التقدم العقلي . وليست قضية اللغة عندنا قضية ألفاظ فحسب ، ولا هي قضية تراكييب ، إنما القضية عندنا في كفاية تلك الألفاظ وهذه التراكييب . فهل استطاعت هذه أن تسير الحضارة الحديثة ؟ وهل استطاعت أن تنقل معانيها إلينا ؟ ذلك ما نشك فيه

ونحن نشك في شيء آخر غير ذلك . إنه لا يمكن لغة أن تسير الحضارة أو الثقافة إلا إذا كانت مرنة تتسع لكل معنى حديث . وتلك المرونة التي تظهر بجلاء في لغة كالانجليزية قد فقدت مكانها في لغة كالعربية . وهي قد فقدت مكانها في لغات أخرى قبل لغتنا لأنها فقدت عن أن تعاشي الحضارة في تقدمها . وأحس ما يمتاز به الانجليزية هو ذلك الاستيعاب الذي يظهر في كل وجه من وجوها ؛ فهي قد استوعبت ألفاظاً من كل قطر حلت فيه فئة من الانجليز . وألفاظها توافي المتحدث بها في كل موضوع يطرق ، لكننا نشكك كثيراً فيما إذا كانت العربية والانجليزية سواء . فالعربية غير مرنة ؛ وهي لغة تقليدية تتولى عن الألفاظ الدخيلة ؛ وقد بدأت تسير الحضارة الحديثة منذ وقت قليل لما يكف لتغذيتها بألفاظ تطلق على المعاني التي تتجدد في كل ساعة من ساعات الحضارة

لم يكن لنا أن نذكر كل ذلك لولا أننا نؤمن بأن في اللغة استعداداً لقبول كثير من الإصلاح . ولعل أقبل إصلاح اللغة أن نبدأ بتفهم طرق التدريس التي من شأنها أن تجعل اللغة لغة أفكار ومعاني قبل أن تكون لغة ألفاظ ومفردات ، وتعلم طرق التربية التي تكسبها مرونة اللغات الأخرى . ويستطيع المعلمون أن يتخلوا على تلك العقبات التي يلقونها اذا هم وجدوا أمة من أهل الرأي يجاهد معهم في هذا السبيل . على أننا سوف نكتفي في مقالنا هذا بذكر وجه آخر من علاقة اللغات ، ثم تحديد أغراضنا من دراستها . وسوف نهالج في مقال آخر الوسائل التي تراها

٢ - وحدة اللغة : وفي كل الذي أسلفنا أكثر من دليل على أن عنايتنا باللغة ينبغي أن تحل عندنا المسألة الأولى بين مختلف

ما توحىه الكلمات من حب وبغض وسرور وحزن . ففي ألفاظها كل المعاني التي يجيش بصدورها ، وفي أعطافها ما يحرك قلبه ويهز فؤاده . ولأن اللغة وحدة في ذاتها تجد بين لغة الإنسان الأصلية وبين لغته الدخيلة أو الأجنبية كثيراً من التشابح والأسباب ، فلا يستطيع متحدث أن يعالج الكلام عن الثانية إلا إذا بدأ بالأولى ، ولا يستطيع متعلم أن يقرب لغة أجنبية حتى يتخذ الأصلية عوناً على تفهمها . فاللغة الأصلية هي السجل الذي تنتظر فيه مراحل تفكيره ، وهي المرآة التي تنعكس عليها حياة العقلية والحسية في وقت مما

من أجل ذلك كانت اللغة الدخيلة عالة في أفكارها ومعانيها على اللغة الأصلية ، وكان حرياً بها أن تكون كذلك عند الناشئين ؛ فالحق أن الأفكار والمعاني لا تعرف ألفاظاً محدداً في موضع ضيق تفقيد به ؛ ولأن اللغة الأصلية نتيجة لتفكير الإنسان ، ولأنها ثمرة لتقدمه العقلي كانت خليفة أن تكون أساساً لتعليم اللغة الأجنبية كما كانت الأساس في الدراسات الأخرى ، وخلقته أن تتماز بالجلاء والوضوح ، وأن يعنى بها المربون أول شئ ، لأنها تتدخل في تعلم اللغات الأخرى وفي إحسان العلوم ، بل في نمو الإنسان وتفكيره

ولقد ذهب إلى هذا الرأي كثير من الذين بمحراً دراسة اللغة وأخرجوه للناس كما لو كان كشفاً من كشاف العلم الحديث ، وكانت الجبهة من علماء التربية يرون منذ بضع سنين أن اللغات منفصلة ، وأن الإنجليزية مثلاً لا تستقيم إلا إذا حبسنا تفكير الناشئ عن العربية في دروس الإنجليزية . وقد كان يشوب ذلك كثير من الخطأ ، فلم يكن يعترف عقل المتعلم بتلك الحدود المفروضة التي ضربت عليه ، وقد كان يخترق تلك الحدود ، وكانت اللغة العربية تلتقي بالإنجليزية في تفكير الطفل مهما حاولنا الباعدة بينهما . وقام في السنين الأخيرة علماء مثل الدكتور (وِست) صاحب الطريقة الشهيرة يعترفون بتلك الصلة ويستمينون بها في تعليم الإنجليزية . وحدث على أثر ذلك انقلاب سريع في أساليب التعليم عندنا ، وغدا للعربية وزن في تعليم الإنجليزية في السنوات الدراسية الأولى

وعندنا أن موطن الإصلاح الأول هو اللغة العربية . وإصلاح مثل ذلك لن يتناول طرائق التعليم ، ولا أساليب الدراسة فحسب

المواد التي نعلمها . فهي حقيقة بالتقدير إذا تحدثنا عن أى مثل أعلى عالمي ؛ وفي دراستها توحيد للمعنى السامى الذى ما زال يلمب بخيال الإنسانية ، والتقدم الفكرى رهين بالتقدم اللغوى ، ولأن اللغة أساس صالح لتلك المواد ، ولأنها تتحكم في تلقينها وفي تلقفها ، فانا نرى أن إصلاح التعليم في مصر رهين بإصلاح أساليبنا في تعليم اللغة العربية وفي تفسير وجهتنا فيما يختص بالأغراض التي ترمى إليها بل اللغة العربية متصلة وثيق الاتصال باللغات الأجنبية التي نعلمها اتصالها بتعليم المواد الأخرى . وإذا نحن نظرنا إلى تلك المواد نظرنا إلى مجموعات متوافقة من الأفكار والمعاني استطعنا أن نرى كيف تحدد اللغة تفكيرنا ، وكيف تواتنا القدرة على تفهم تلك المواد إذا كانت اللغة مهارة مكسوبة أحسنها . فاللغة في مفرداتها وصيغها تكون وحدة عامة متصلة الحلقات مشبكة الأطراف ، وهي في نفسها نتيجة لنماء العقل ونشاط التفكير . وليست مفردات اللغة كما قدمنا إلا رموزاً للأفكار التي يلتف بعضها حول بعض في حياة الإنسان العقلية ، والتي تتألف حولها كثير من شعاب الدواعي . وحين يدرج الناشئ في السنين الأولى من طفولته يكسب كثيراً من تلك الأفكار التي يحاول أن يبرع عنها ، فما تزال حائرة تتردد في نفسه حتى تستقر في تلك الرموز التي تواسع عليها الناس ، وتصبح بعد ذلك مادة للحديث والتفكير والكتابة ، وتصبح سبيلاً إلى تفهم التاريخ والجغرافية والطبيعة وغير ذلك

ولعل الطفل في حياته اللغوية يمثل الإنسان الأول في كسب اللغة واسطناع ألفاظها ، فهو يتدرج في تعلمها من المحسوسات إلى المقولات ، وهو يحسن كل الاحسان أسماء المراتب ، لكنه يعانى غير قليل من الجهد في تفهم المعاني . وقد مر الإنسان الأول في مثل عصر الطفولة حينما كان العالم نفسه طفلاً ، وحين دفعته الحاجة إلى أن يتعلم الأسماء كلها . وتمهدت اللغة في أطوار الإنسانية حتى انحدرت إلينا وهي على ما هي عليه من التعمق والاعراق ؛ وحتى أصبحت دراستها تقتضى نصيباً كبيراً من الحس الرفيع والنفطان الدقيق

ف لغة الإنسان إذن وحدة في ذاتها تتألف من شتات من الجزئيات ، ولغته الأصلية هي التي صاحبت تكوينه العقلي . منها يستمد أفكاره ومنها يكون صوره العقلية ، بل هي التي توحى إليه

بل لا بد له أن يتأسل في مادة التفكير التي يتغدى بها التلاميذ .
إصلاح مثل هذا سوف تتأثر به الجغرافية والتاريخ والكيمياء
والفلسفة والمطلق ، وكذلك سوف تستقيم به طرق التدريس التي
مجاهد في إدخالها على اللغة الإنجليزية . ولعلنا لا نفلو كثيراً إذا
قلنا إنه أساس كل إصلاح آخر

٣ - الرغبات من تصميم اللغات : ولأن يكون كلامنا
محدداً ، ونلّا نخلط بين اللغة الأصلية واللغة الدخيلة ، نرى أن نعالج
المرض الذي ينبغي أن نلزمه في تعلم اللغة العربية والقرآن الذي
ينبغي أن نلزمه في تعلم اللغة الإنجليزية

فإذا كن بين اللغة الأصلية واللغة الدخيلة مثل تلك الصلات
الفكرية ، فإن بين الاثنين فروقاً تحدد السبل التي تتخذها في
تعليم كل منهما . فلهذا كما قدمنا آثاراً تختلف على حياة الإنسان
لها أثر عقلي عميق يكاد يحكم نحو إدراكه وتطور تفكيره . ولها
بمد ذلك أثر حسي يتصل اتصالاً وثيقاً بفكرة الجمال التي يكسبها
من الشعر والأدب . ثم إن لها أثراً عملياً أو فنياً يغير منه في
حياته كأي مهارة أخرى . وهذه الأنواع الثلاثة من الآثار هي
التي تختلف على متعلم اللغة إذا أحسنت نشقته على الأصول النفسية
التي جهد في استنتاجها الذين أوتوا العلم من المحدثين والمربين .

ونحن في حديثنا عن اللغات يجب أن نفرق بين هذه الآثار
وارتباطها باللغة العربية أو باللغة الأجنبية . أما اللغة العربية فإنه
يتمثل فيها كل الآثار التي ذكرنا . لها أثر عقلي يصاحب الإنسان
عند النشأة الأولى ويلزمه في كل طور من أطوار حياته ، ولها
كذلك أثر حسي يحضه الشعور بالجمال ويفيض عليه كثيراً من
ألوان السرور ، ولها أثر فني عملي لأنهما وسيلة الكتابة والحديث
بين الأفراد والجماعات . أما أثر اللغة الأجنبية عندنا فهو فني
أو قل عملي . حقاً قد يكون لها أثر عقلي إذ تتدخل في تربية
الإنسان ونمائه ، وقد يكون لها أثر حسي إذا أحسن تعلمها .
ولكن وجهها الفني أوضح وجوهاً ، وانما يتعلم المرء اللغة
الأجنبية لتكون صلة بينه وبين فروع المعرفة التي اتسعت لها ،
وحسب أن يحسن قراءتها . ولعلها تصبح مادة زاخرة توحى
إليه العواطف ، وربما أصبح يبين تفكيره صلات ولكنها
على الخالق لن ندرك ما تملفه لفته الأولى التي درج عليها والتي
كانت أقرب إلى عقله وقلبه ووجدانه .

فاللغة الأصلية واللغة الدخيلة مختلفان في تقديرنا اختلافاً
شاسعاً . الأولى صاحبة الأثر العقلي الذي يدفع بتفكير المتعلم إلى
نواحي التقدم ، والثانية تستمد وجودها كأداة للتفكير من اللغة
الأولى . واللغة الأصلية ذخيرة تتجلى فيها آيات الجمال بما في تراثها
من أدب وحكمة ، وتنبئ فيها بدائع الشعر بما تتحمله من وحى
والهام . أما الثانية فلن تبلغ هذا الأثر إلا إذا أحسنها المتعلم كل
الاحسان ؛ وليس يبلغ ذلك إلا الخاصة الذين لا يقومون للعلم في
حسبان . وهي عند كافة المتعلمين بسيدة عن نطاق الجمال والالهام
عبر قريبة من مواطن التفكير الدقيق أو جادة التفطن والتفصيل .
واللغة الأصلية واللغة الدخيلة بمد كل ذلك جديران أن نحسنهما
قراءة ومطالعة ، لأن احسان قراءة الأولى واجب حتم ، ولأن قراءة
الثانية هو سبيل الاتصال بمحضارة أمحاجها .

وفما أسلفنا من حديث من آثار اللغات مواضع نتعرف منها
للغاية من تعلم اللغات كل منها على حدة ، فالمطالعة أو قل القراءة
المستوعبة هي الغاية من تعلم اللغة الأجنبية ، لأن إتقانها هو السبيل
إلى فهم ما يكتب فيها ، ولأننا في تعليمنا اللغة الأجنبية نرى إلى أن
نفتح للتعلم أبواب تلك اللغة حتى يتصل بثقافتها . نحن نتعلم
اللغة الإنجليزية لنقرأ مؤلفاتها ، ونحن نحسن الفرنسية لكي
نلم بمحضارة الفرنسيين ؛ وليست الفرنسية ولا الإنجليزية
إحداهما ولا كليهما بضرورة لازمة لحياتنا العقلية أو لثريتنا
النفسية ؛ واذن فيجب أن تدور جهودنا في تعليم إحدى هاتين
اللغتين حول تلك الغاية الثلاث : يجب أن تدور حول المطالعة لأنها
الغاية النفسية التي نحدثنا عنها . وايسر الكتابة ولا الخطابة
ولا نذوق الأدب بما فيه من قصص وتمثيل من شأننا في تعليم
الإنجليزية ، فإذا جاء كل هؤلاء فاعا يأتي بمد المطالعة لا قبلها

أما اللغة الأصلية — وهي العربية عندنا — فينبغي أن تكون
الغاية من تعليمها فوق ما ذكرت . إن القراءة جزء من الغاية التي
نشدها إذ نعلمها . نحن نعلم العربية لنخرج مفكرين يحسنون
تصور الكلام ويمجدون التعبير عما في نفوسهم . بل يجب أن
نعلمها حتى يتذوقوا التراث الأدبي الذي ترخر به اللغة نفسها .
واذن فدراسة العربية ينبغي أن تكون تدريباً فكرياً وتدريباً
نفسياً وتدريباً عملياً أيضاً ، وتنشعب هذه الأغراض وتتعدد

فلسفة التربية

تطبيقات على التربية في مصر

للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ١٣ —

« إن مصر لدين لفظها الفلاحين أكثر مما لدين لغيرهم »
« ما كسبون »
« ولا بد من أن يطلب غداً أولئك الذين يحفون ثروة الأمة شيئاً أكثر من الكلمات »
« ما كسبون »
« قد نستطيع أن نسوق الجراد إلى التهر ؟ ونسلك لا نستطيع أن نجعله يترب منه »
« مثل سائر »

٣ — التعليم الإلزامي والديمقراطية

رأيت في المقال الماضي انقسام عقليّة المتفكرين القلائل في الأمة إلى مسكرين متباعدين ، وتبينت ما في ذلك الانقسام من ضعف يؤثر في وحدة الأمة ويسرقل نهضتها ، وسترى اليوم ناحية أخرى هامة وخطيرة هي ناحية التعليم الإلزامي ...

ويكون من مظاهرها الكتابة والقراءة والخطابة . ولنسلك من هذه النوايا أصول تمتد إلى أعماق الفكر وتتصل بأطوار النفس أما الأغراض التي نرى إليها اليوم فهي قاصرة لأنها تقف عن أن تدرك كل تلك النوايا . إن تعليم العربية عندنا يقتصر على تلقين ألفاظ غير محددة وهو يخلو من الرياضة الجمالية التي ينبغي أن نرى إليها . أما وجهتها التنفيمية فهي لا تعلو إلى أن تكافى حاجات كل يوم فضلاً عن حاجات النفس المميقة . ولا يستطيع معلم أن يقول أنه يتجه اتجاهها فكرياً في تعليم الألفاظ ولا إنه يصطنع الدقة في تلقينها الا قليلاً

أغراضنا إذن من تعليم العربية كما نعلمها الآن غير واضحة . وهي في الحق شعبة من اتجاه الكتاب والفكرين عندنا عامة . ولكتنا نلتخص الأغراض التي يجب أن تحمل عندنا في التدريب العقلي أولاً وفي الرياضة الجمالية الحسية ثانياً وفي الانتفاع بها ثالثاً

أحمد مكي

١٠ - ٣٧

١ — كلمة الديمقراطية

وأحسب أنك تدري تماماً كلمة الديمقراطية في ذلك المجال بعد كل ما قد سمنا من قول بل وأحسب أنك تذكر يقيناً عبارة الرئيس « وشنطن » في المقال الماضي ، وما فيها من مبدأ عظيم يحمل مقياس نجاح الحكومة منحصر في دائرة زيادة خير أولئك الذين لا نكاد توجد عندهم ضرورات الحياة الأولية لحسب ، لا أولئك الذين عندهم الكثير وأكثر من الكثير !! وإذا فلن تعجب إذا عرفت أن الديمقراطية تطالب هنا بمساواة « الجميع » في فرصة إظهار الكفايات ، وتنظر للتربية كوسيلة جوهرية تنوم للشعب مقام الصلاحية للمقاء عند الحيوان ، وترتقي به من مستوى المعجوات إلى مستوى الإنسان ، وتسد ما بينه وبين الطبقات الراقية من هوة سحيقة مليئة بالبؤس والشقاء ، والفوضى والاضطراب ؛ وتؤمله أخيراً لأن يحقق معنى الحياة الديمقراطية بمطالبها الاجتماعية والسياسية على أصح وجه تنشده هذه الحياة !

٢ — التعليم الحاضر

فتري هل حقق التعليم الإلزامي المصري الحاضر مطالب الديمقراطية الصحيحة أو نهج على الأقل نهجاً قوياً نحو تحقيقها ؟ ذلك هو السؤال الذي يجب أن نسأله ، والذي ينبغي أن نستمع فيه لإجابة النظائر والمدرسين والفلاحين قبل أن نستمع لإجابة النواحي الأخرى ، والذي يجب أن نستوحى في فحصه مبادئ الديمقراطية أكثر مما نستوحى في غيره ، فتري ماذا عسى أن يكون الجواب ؟

أحسب الأمر واضحاً لا يحتاج إلى جلاء ، فأكثر من خمسة وعشرين في المائة من سكان هذا البلد أميون بكل ما في الأمية من معنى الفقر الأدبي المروع ، وميزانية التعليم الإلزامي ضئيلة إذا قيس بميزانية بعض النواحي الأخرى التي تقل عنها في الضرورة والخطورة ؛ هذا إلى أننا كثيراً ما نبشر ألوف الجنبات في السكاليات التافهة غير ناظرين إلى حاجة مثل هذا التعليم إليها ، ومع ذلك فتعليمنا الإلزامي الحاضر ما يزال مشوباً بالوان من النقص يسيرة وعسيرة ، وحسبك أن تعلم أولاً أن « مبدأ المساواة » في فرصة إظهار الكفايات « مهديم حياله من أساسه لأن التخرج منه لا يستطيع قط أن يطرق باب التعليم الابتدائي وما

من الرياح والنجوم والدوق العام ، وأن يبقى أمياً بريئاً ساذجاً لا يعرف كيف يملو على أهله ويحتقر الفأس والأرض ، ولا كيف يترجح إلى المدينة ليسبش عيشة أرقى وأنظف !!
لذلك كله لم يستع الآباء بمد هذا التعليم ولم يشعروا شعوراً كافياً بالحاجة القصوى إليه ، ويساعدوا على ذلك ضعف الدعاية اللازمة ، وعدم حاذية المدرسة ، واشتراك الناظر والمدرسين في ص هذا « الالتزام » على رؤوسهم ورؤوس أولادهم^(١)

٣ - المخرج

وينحصر المخرج الناجع الذي يراه الدكتور « جاكسون » لتدارك هذا الموقف في ناحيتين . الأولى تغيير المنهج بحيث يلائم حاجات البيئة ولا يبدو كأنه مفروض من سلطة منسفة ؛ ويتأتى ذلك بإشتماله على دراسة عملية للتربة أو الدورة الزراعية ، وأنواع الأسمدة ، وحياة الحشرات والنباتات والزهور ، والقيم الغذائية للعواد المختلفة ، وأصول صحة المنزل في الدائرة القروية الممكنة ؛ كل ذلك إلى جانب القراءة والكتابة والمعلومات الأخرى التي تقرب بينه وبين الطبقات الأرق وتجيبه في العمل والعاملين ، وتسد الهوة بينه وبين أبناء الأثرياء النعمين .

أما الناحية الثانية : فتتلخص في دعاية واسعة النطاق غايتها تحبيب الشعب في ذلك التعليم بكل الوسائل حتى لا يكون هناك إلزام بالمعنى المكروه . ويحسن أن تكون هذه الدعاية عن طريق زعماء الشعب أنفسهم ونوابه وكل من يجلمهم ويقدر كلمتهم ، آناً بالحضور الشخصي وآناً بالإذاعة ، كما يحسن أن يشترك في هذه الدعاية أغنياء القرى وذوو النفوذ بها ، وأن تصطبغ الدعوة فكرة دينية أو وطنية ، وأن يقضى فيها شيئاً على القول القائل بأن معنى التعليم هو إلقاء الفأس وإمساك القلم ؛ وبهذا وبغيره يصبح التعليم ضرورة لدى الفلاح ، فيسعى إليه بنفسه ، ويعتبره فريضة دينية أو وطنية .

٤ - الحاجة إلى مدارس جديدة

على أن الإصلاح لا ينبغي أن يقف عند هذا الحد . إذ يجب

(١) كثيراً ما يترقب المدرسون الأولاد إلى المدرسة بعد الامساك بهم في بيوت أهلهم . وكثيراً ما يجرح الناظر نفسه بإدارات مخالفة لقانون الاحبار . والصعب به هذا أن محاكمة المخالفين لهذا القانون يطول أجلها أحياناً وتنتهي بضياع حباسة أو جلها على التعلم

بعده من فنى أو ثانوى أو جامعى إلا فيما شذ ونذر^(٢) ، وبذلك أصبح الكاهن الشعبي عروماً من الدخول في حومة الثقافة الراقية الواسعة والتلذذ بما فيها من نعيم ، وخدمة الوطن عن طريقها خدمة نافعة ، ثم حسبك أن تعلم أن أحد نظائر مدارس هذا التعليم قد كتب إلى مقررأ أشياء كثيرة خطيرة ، أهمها قلة مرتبات المدرسين بالقياس إلى عملهم المرهق الذي كثيراً ما يقفز إلى ٤٨ حصة في الأسبوع^(٣) !! وكثرة أعمال الناظر (أو رئيس الكتب) الإدارية إلى جانب أعماله كمدرس مما يحول بينه وبين القيام بواجبه على النحو المنشود ، وسوء أماكن الدراسة وقذارتها وعدم وجود الأبنية والمظلات ، وتمسف حضرات المفتشين أحياناً وأخذهم المدرس باللوم أمام التلاميذ !! وجمع الكتب من الأولاد في آخر الدرس ، وعدم اتفاق بعض هذه الكتب ومادة المنهج المرسوم !! ثم خروج المتخرج منها أخيراً دون أن يحقق أبسط تعلميها وهي القراءة والكتابة ، نظراً لحشو المنهج بالمعلومات غير اللازمة من ناحية ، ولعدم استطاعة المدرسين البؤساء التمساء القيام بمهنتهم كما ينبغي من ناحية أخرى ... !!

هذا وقد بحث الأستاذ « جاكسون » تلك الناحية في رسالته الآتية فراح يقول : كيف يكون التعليم مجدياً وهو إلزامى بكل مافى الالتزام من معنى ؟ إن التعليم الحق هو ما أتى من « الداخل » فحسب ، وكل تعليم لم يأت من هذه الناحية لا يكون أكثر من طلاء خارجي كله تشدق بالألفاظ وغرور وكبرياء لا يجديان شيئاً . ولذلك ما يلبث أن يسقط غير تارك وراءه إلا السكر والاجرام إذا لم يحل محله غرس خلق متين ، وإذا فكان الأفضل أن يترك القروى في مثل هذه الحال ليتعلم

(١) ليس لخرج التعليم الإلزامى في الثالغ إلا الحقل أو الأهر أو تجهيزية المعلمين وبالتالي ليس لخرج التعليم الأولى إلا مثل هذا الطريق . ولا يكاد يدخل التعليم الابتدائى إلا أبناء للوسرين ومن إليهم ، والهوة سحيقة جداً بين هذا التعليم والتعليم الإلزامى !!

(٢) ويوجد بجانب هذا التعليم نظام التعلم الأولى . وبالرغم من أنه يشابه التعليم الإلزامى في اسمج وكماية للمدرسين إلا أن أجر المدرس فيه وعمله غيرهما في التعليم الإلزامى . وحسبك أن تعلم أن المدرس بالتعليم الأولى قد يتدأخره الصهرى إلى غاية أو عشرة جنيهات بينما لا يعبد أحر المدرس الإلزامى إلى أكثر من أربعة جنيهات وربع حيه ! هذا إلى أن عمل ذى الأجر الأكثر لا يزيد على ٢٨ حصة ، وإلى أن نظام نبيت حاضر الإلزامى عسير للغاية وفي كل ذلك بالطبع من إمارة نشاط المدرس وإخلاصه ما به

وآداب اللياقة ونحوها ، وكثيراً ما يستعان هناك بالراديو في نشر الثقافة القروية الملائمة^(١)

فترى ماذا يمنع مصر من الأخذ بمثل هذا النظام ؟ وكيف السبيل إلى الاستفادة من مشروع « المجموعات القروية » مثلاً إذا لم توجد أولاً المقول المهيئة للاستفادة والفهم ؟
هنا نحن

يجب إذاً أن تفتح للفلاح حياة أدق ، وألا نتخذ من عدم شكواه وسيلة إلى إهماله . إن النور سيطرق إليه عاجلاً أو آجلاً ، وسوف لا يرضى حينئذ بحظه الراهن قط . بل هو على النقيض سيطلب بحياة أكثر تنوعاً ، وبعمل أقل إرهاقاً ، وبفرصة لكفاح أبنائه أكثر اتساعاً . نعم لا بد من أن يطلب غداً أوائل الذين يخلقون ثروة الأمة شيئاً أكثر من الكلمات .

« بنبع » محمد حسن ظاظا

مدرس الفلسفة بالندارس الثانوية الأميرية

(١) وتقوم جمعية « نهضة القرى » في مصر بتكليف الطلبة بشرح بعض نواحي هذه الثقافة بين الريفين ، ولكن ما يزال الأمر يحتاج إلى دقة الحكومة وحزمها وإشرافها

الفصول والغايات

للفيلسوف الشاعر الأنايب

أبي العلاء المعري

طرفة من روائع الأدب العربي في طريقته ، وفي أسلوبه ، وفي معانيه . وهو الذي قال فيه نأقدو أبي العلاء إنه عارض به القرآن . ظل طول هذه القرون مفقوداً حتى طبع لأول مرة في القاهرة وصدر منذ أسبوع

صححه وشرحه وطبعه الأستاذ

محمود حسن زمامي

نمته ثلاثون قرشاً غير أجرة البريد

ويطلب بالجملة من إدارة مجلة الرسالة

ويباع في جميع المكتاتب الشهيرة

أن يختلف تعليم القرية تماماً تبعاً لاختلاف بيئتها ، ويجب أن يكون المحور الأساسي فيه هو ربط عمل المدرسة بعمل الحقل ، ويجب أن تتجدد المدرسة ذاتها في نظامها العام والخاص تجديداً يزيل طابعها القديم في نفوس الفلاحين . يجب أن يكون البناء جذاباً ويجب أن تزداد الثقافة الفنية للمدرسين على نحو خاص يمكنهم من النجاح التام في أداء مهمتهم العظيمة الخطيرة^(١) ويجب أن يكون بالمدرسة استعداد تام للخدمة الطبية ، وأن يكون التعليم الديني بها على وجه منتج ومفيد لا مجرد آيات تقرأ وتحفظ حسب هذا إلى وجوب تزول المدرسين بها إلى العمل مع التلاميذ حتى يضربوا لهم المثل الصالح في حب العمل وتقديره ، وإلى وجوب تزويد كل ولد أو بنت بكتب الحفظ كالدين والأدب والعلم ، على أن يكون بالمدرسة ذاتها مكتبة عامة للتلاميذ والآهالي والمدرسين جميعاً ... ذلك من ناحية ، ومن ناحية أخرى ماذا يمنع أن تكون المدرسة مركزاً لتعليم الآباء والأمهات تعليماً خاصاً ، ولإدخال السرور والابتهاج على أهالي القرية بما تقيمه في الآن بعد الآخر من مباريات طريفة ؟ وماذا يحول بين رجالها وبين جمع الحكم والأغاني والدكريات والأشغال المحلية بين جدرانها حتى يخرج التلميذ عارفاً بحياة بيئته وبتاريخها وبشئ نواحي النشاط فيها ؟ إننا بهذه الطريقة نجعل المدرسة خير صديق للقرية ، ونجعل الحياة في القرية ذاتها محبوبة لا تدعو إلى تفضيل حياة المدينة عليها قد يقول قائل إن هذا مشروع ضخم وفي القطر حوالي ثلاثة آلاف وأربعمائة قرية ، وهو بالفعل كذلك ولكنه بعد ضرورة ملحة في القرن العشرين ، قرن المدنية والنور ، وإذا قلنا فقط الحكومة مصروفاتها المالية ضحطاً ، فإنها إن فعلت استطاعت مع الخطة الحكيمة — أن تنفذ هذا المشروع في بضع سنين !

٥ — تعليم البالغين في السويد والنمجة

أما تعليم البالغين فيطلب مجهولاً آخر . وما هي السويد قد أسست حوالي ٥٤ مدرسة لإشغال فراغهم بدراسة اللغة والاقتصاد المنزلي والرياضة والموسيقى وأشغال الإبرة والخشب والمعادن . وما هي إنجلترا تبعث بمحاضر كفؤ ليحاضر طلبة أبنائها هذه المدارس بها في شئون عامة كالطفولة والتمريض ،

(١) اعترف لي بعض حضراتهم أن مقرر التاريخ يحوي دروساً عن الاسكندر وبينما وتحمس وغير هؤلاء مما لم يحسنوا دراسته

رسالة الأديب الى الحياة العربية

للكاتبة النابغة الأنسة « مي »

« نشر أصداء » مي « وعشاق أديها بالكشاف ائمة من صحب وحريريا ؟ فقد استطاعت أن تلقى عدد لخاسرة انبية في ٢٢ من شهر مارس في السروة الوثقى بالخامسة الأمريكية مي حصل حاشد من أعيان الفصل والأدب فكالت أقطع اصبح على ما أرحف به المرحفون من أصحاب المعوى والطبع . وذا ليسرنا أن نقل إلى قراء الرسالة هذه المحاصرة عن مييدة للكتوب الثمانية ليروا أن (مي) لا تزال على عهد بها مع ناسور ، وتمتع بالعطر ، وتنفض بالحياة »

سلاماً يا وست هول ، يا موطن الفكر والرأى والحياة المنظمة في كرامة وحرية ! كم من مرة جلست بالخيال بين جدرانك أنبادل والجمع الحاشد قوة الحيوية ، وأخذ فسطى مما يمح في فضائك من فائدة علمية واجتماعية ! كم من مرة عدت بالذكري إليك أصنى بختنوح إلى رسالات الففضل والملم والتهديب يتوها هنا العلماء والمفكرون والمصلحون !

سلاماً أيتها « العروة الوثقى » ، الساهرة على وظيفتك في تنوير الأفهام ، الحريصة على غايتك في إحكام الرابطة العلمية والأدبية بين أقطار الشرق العربي ! كم من صيحة أرسلها أقطابك وأتباعك وأنصارك من على هذا المنبر المضيق ، فمضت كالطير تسبح في القريب والبعيد من الأجواء حاملة رسالة العلم الصادق والبحث الرصين والخبر العميم ، فكونت في أوساط قضية مواطن للفكر والرأى والحياة المنظمة في كرامة وحرية !

ولئن أنا شكرت لك تشريفي بدعوتك واقترح الموضوع ، فإنني كذلك شاكرة لأنك أفسحت لي مكاناً كريماً بين كرام صيوفك ، عاملة بيدك القوية الوفية على إحكام الرابطة بيني وبين قومي ؛ وأشكر لكم أيها السادة والسيدات تفضلكم بالحضور . إن اسم « العروة الوثقى » يلهم الفرد أنه ينقلب أمة عند ما يخاطب الأمة

وما أجله موعداً موعدنا الليلة ! فنحن في مطلع الربيع ، إذ باشرت الأرض إخراج زيتنها وعرض مباهجها ، ونشرت السماء كواكبها ونموسها وأفارها وضاءة في رحيب الأفلاك ، وسرت الحياة نامية في فتي الفصون ، واهتزت الأرواح مترنحة لاستيعاب

جديد التفجحات . كذلك الشموب العربية استبقت من شتاء حالك المظلام طويل الأمد ، وابرت تستقبل الفصل الجديد من حياتها ، متمهدة براعم الأمل والمجد في نهضتها ، يساعية إلى اردهار ثقافتها اردهاراً عامراً بهيجاً

الربيع زف إلى الأرض رسالته ، ووست هول اليوم كما في الأسر وفي القيد ، يؤدي إلى المجتمع رسالته ، و « العروة الوثقى » تواصل العالم العربي برسالتها ، فإذا ترى تكون رسالة الأديب إلى الحياة العربية ؟

أيها السادة والسيدات :

إذا نحن ننحنينا في بحثنا عن الرسالة المثلى ، رسالة الأنبياء ، وجدنا أن الرسالة في معناها الضيق هي الصفحة التي يكتب فيها الكلام المرسل ؛ بيد أن معنى الرسالة أرحب من ذلك وأشمل ، إذ لكل فرد ، وكل كائن ، وكل شيء ، رسالته في معرض الوجود ؛ فالشمس تؤدي رسالتها نوراً وحياة ، والزهرة تؤدي رسالتها عطراً ووسامة ، والخيال والرواد تؤدي رسالتها تيقاً لطبقات الأرض وتنوع الخليفة ، والمروج والمهول تؤدي رسالتها خصباً وغذاء ، والسبيل تؤدي رسالة الحركة والانتقال ، والانتقال يؤدي رسالة الأخذ والعطاء والتعاون التبادل بين الأحياء

ولكل جبهة من الناس في كل بقعة من بقاع الأرض شؤون عدة ، إذا ما عولجت واستثمرت ونظمت وحسن التصرف فيها ، أصبحت تلك الجبهة شعباً قامة ، وصارت تلك البقعة بلداً فدولة ، وفي كل بلد صناعة ، وتجارة ، وعمارة ، وميكانيكا ، وإدارة ، وقوانين

ولكل أمة عادات وتقاليد وتاريخ وتربية وحكمة وثقافة وآداب وفنون . الشؤون المحسوسة ، على تمددها وعلى ما بينها من فروق ، متشابهة واحدة في كل قطر ؛ وأخص خصائص الوحدة والتشابه نجده في التقدم العلمي والميكانيكي ، وفي الحضارة الآلية السائدة في كل مكان

ترى ما هو الفرق بين مخاطب بالتلفون ، ومخاطب بالتلفون ؟ وبين مستمع إلى إذاعة راديو ، ومستمع إلى إذاعة راديو ؟ وبين راكب دراجة أو سيارة أو طائرة ، وراكب دراجة أو سيارة أو طائرة ؟ ليس من فرق بينهما من حيث الخدمة التي تؤديها الآلة . أجل ، تمت فرق في الفرض الذي نستخدم له الآلة ؛ وهذا ليس

موضوع البحث ؛ إنما الفرق كل الفرق في الشخصية التي تستعمل الآلة ؛ والشخصية لا تتكون إلا من العوامل الأدبية : التاريخ ، الاحتبار ، الذكري ، اللغة ، الفن ، الأدب

الأدب إذن من أهم القومات للشخصية ؛ وربما كان الأصح أن أقول إنه حجر الزاوية في تكوين القادسية الفردية والقدانية القومية بالتسع . والفرق بين الشخصية والقدانية فيما أظن هو أن الشخصية تتكون مما يحيط بنا ويثقل علينا من شؤون وأحوال ، في حين أن القدانية هي ما نظل عليه دائماً في صميمنا في جميع الشؤون وفي جميع الأحوال . فما أبدنا بهذا التعريف عن التعريف الشائع أن الأدب هو المستظرف من الشعر والنثر ، وأنه صناعة لفظية حذقت حيلة النكتة والتورية ، واستسيفت منها البلاغة والحلاوة في وصف مجالسي الأنس ، وتصوير جمال النساء ، وشرح لواعي الحب والفرام . كل هذا من الأدب بلاربيب ، وله أهميته ، وهو ذو إغراء ؛ ولكنه وجه فقط من الوجوه العديدة في الأدب . ولئن اقتصر كل من المعلوم والمعارف على نفسه دون غيره تقريباً ، فبزة الأدب في أنه يحتضن الكثير من المعارف والمعلوم ، وله أن يتفنى بها جميعاً ليعالجها على طريقته الخاصة ، فلا يكون بعد إلا أدباً

ولكم كانت المنتجات الأدبية والصور الخيالية سابقة للبحث العلمي ومميتها على الخروج من حيز القياس والإقراض إلى حيز التطبيق العملي والاختراع ؛ أليس أن شاعرية الشعراء طارت إلى أجواز الفضاء قرونًا طويلاً قبل اختراع الطيارات ؟ وفيالق المشاق (والمشاق شعراء وأدباء دواماً) ، ألم تناج أرواح الأحباب برغم شاسع الأبعاد قبل أن يصبح الراديو أداة من أدوات المنزل ؟ ومن ذا الذي يقرأ ولو كتاباً واحداً من كتب الأدب الفرنسي جول قرن الذي وصف الانطلاق من الأرض إلى القمر وصفاً علمياً قبل أن يقوم علماء الستراتوسفير برحلاتهم الجوية ، وحدث عن سلك أعماق البحار في سفن ذات أجهزة ميكانيكية دقيقة قبل أن تحتوى أساطيل الدول على غواصات ترقب ما يجري في قلب اليم وعلى صفحة الماء ؟ من ذا الذي لا يذكر الكاتب الإنكليزي الماصر ووز ، ومؤلفاته ذات الصبغة العلمية المتنبهة بمستقبل حياة ميكانيكية صرفة تنرب عليها حياة اجتماعية

متوافقة ؟ لست من أشيع وز ، ولكنني أشير إلى نظرياته شاهداً على رحابة الميدان للأدب

وإذا نحن عدنا إلى الكتب الدينية الثلاثة : التوراة ، والإنجيل ، والقرآن ، وجدناها متفقة على جمل الفردوس الأرضي في شرقنا الأدنى . فكان لنا أن نقول إن مجد الآداب كمجد النبوات كمجد الحضارات أشرق من بلادنا ، وكانت اللغات السامية أول أداة للأفصاح عنه

التوراة مليئة باللهجة الأدبية . والتوراة كتبت أولاً باللغة العبرية : والإنجيل مليء باللهجة الأدبية ؛ والسيد المسيح تكلم بالآرامية والسريانية والعبرية ، قل أن يكتب الإنجيل باليونانية واللاتينية لينقل بمدن إلى مختلف اللغات . والقرآن مليء باللهجة الأدبية ؛ والقرآن هو الكتاب العربي البين والمستودع الخالد لهذه اللغة التي لا تموت مهما توالى عليها القرون وتناهبها تصارييف الحداث

تروى من كل هذا أننا معشر الشرقيين عريقون في الأدب ، وإن أدياننا عمدت إلى اللهجة الأدبية لتكون أسرع اتصالاً بالتموس وأبرع استيلاء على الشاعر . ولئن أجمع نفر من علماء اللغات في الغرب على أن اللغات السامية حماسية ، غنائية ، يمانية ، خطائية ، أكثر منها اختصاصية علمية ميكانيكية ، فنحن نمتد بذلك . لأن اللغة الأدبية هي لغة النفس ، لغة الجوهر ، لغة البقاء . واللغة المحتوية على الجوهر لا تضيق دون المرض والطارىء والإضافي . وليس لنا إلا أن نتابع الجهود التي باشرناها أفراداً وجماعات علمية — ماهجين نهج أسلافنا الذين نسخوا وترجوا ونحتوا واشتقوا وعربوا — لنجعل أداة اللغة كافية وافية في تأدية كل مستحدث من المعاني والمسميات والاختراعات العصرية . ولنا من اتساع اللغة ومرونتها ما يمكننا من صوغ المفردات وسبك القوالب على طريقة ترضى من الناحية الواحدة مولانا سيديوه ، وترضى الواقع والدوق من الناحية الأخرى ، فلا يكون اسم الراديو مثلاً : العلمطان ، ولا يكون التلفون : أدرزاً ومعلوم أن الأدب كاللغة ، حليف التفهيم والتطور في الشعوب التي تعالجه . وآدابنا في تاريخها الطويل أصدق شاهد على صحة هذه النظرية لأنها ازدهرت ثم لازمها الجلود وفقاً لارتفاع الدول العربية

وهبوطها . وصدق تلك النظرية أظهر ما يكون في عصرنا الحاضر .
نسرة إلى البلدان العربية ، فإذا رى ؟ بعد هجرة ثلاثة قرون
أو ترد استيقظت الشعوب العربية ، وحركات البقعة لا تكون
منتظمة في بادي الأمر ، وإرادة المستيقظ لا تكون مستقرة ثابتة ،
وبصيرته تطل وقتاً ما غائمة غير صافية ولا نافذة . المستيقظ يلبث
حيناً حائراً بين خيالات الليل وحقائق النهار ، ولكن كم في
خيالات الليل من حقيقة ، وكم في حقائق النهار من خيال !
شعونا على همتها ونحفزها ما زالت قلعة مضطربة ، وأدبنا على وفرة
جهوده وغرارة مادته ما فتى مصغماً ، غير واثق من نفسه ،
غير مستقر . فما هي حاجتنا اليوم من الناحية الأدبية ؟

إذا كان الأدب صورة للشخصية العامة من خلال الشخصية
الفردية الخاصة بمحسنتها وسيناتها ، بمخافزها ومعلوماتها ، بنورها
وظلامها ، بتقاليدها وأوهامها ، بمخاوفها وممكناتها ، يأسها
ورجائها — إذا صح ذلك ، وهو صحيح — فنحن نحتاج اليوم
إلى صوت الأدب وإلى رسالة الأدب .

المعتززون يقولون : ولكن الأقطار العربية متعددة ولكل
قطر حياته الخاصة ولهجته الخاصة . أميكون إذن لكل قطر
أدبه الخاص ؟

كيف لا ؟ وهل غير ذلك في الامكان ؟ أو ليس هذا هو شأن
سائر الآداب ؟ أو تتكون الثروة الأدبية واسعة في اللغة الواحدة
إلا بتعدد الآداب المحلية وتنوعها ؟ أو ليس لكل من أميركا ،
مثلاً ، وانكلترا واسكوتلاندا وإيرلندا ، أدب خاص مجموعها
يكون آداب اللغة الانكليزية عموماً ؟ وفي كل هاتيك الأقطار
العربية لهجة محلية هي غير اللغة الانكليزية ، والشعب يتخاطب
بلهجته وباللغة الاسكيزية ، ويكتب بهذه اللغة وبذلك اللهجة على
السواء . فعلام نحن نشكو مما يراه الآخرون شيئاً جديداً ؟
ومن الشاكل والمصاح والآلام والآمال ما هو مشترك بين جميع
البلاد العربية . قرب زفرة حزن أو صيحة استبسال وجدت
صداها متردداً في ملايين القلوب العربية ! ورب رسالة أدبية
انطلقت من قطر واحد ، فاجتاحت عديد الأقطار العربية المتناثرة
من شواطئ الاطلانطي إلى حليج المعجم !

أجل ، نحن في حاجة إلى أفلام تخاطبنا باللغة العربية ببيان

جميل بصور شخصية الأديب ، ويشرح حالة الأمم ، وينشر أمامنا
صحيحة الأزمنة الثلاثة : الماضي والحاضر والمستقبل . فالماضي ينبثق
ابنثاق البنيوع فيخصب النفوس . وكما يكتبه الأديب ذخائر الماضي
فكذلك هو يطلع على شؤون الحاضر ، متصلاً بكبار الحوادث
التي تهز قومه في القمة وفي النعمة ، في السخط وفي الرضى ،
وإذ يرى الحوادث داحلة في دور التلبان ، والشعوب مواردة صاخبة
كالحم في فوهة البركان ، وإذ يشهد الظلم والمذاب والمرض
والتفاق يبحث عن الانصاف والصحة والصدق والانفراج —
عندئذ تم في داخله عملية عجيبة ، ولا العمليات الكيميائية .
يحيل إليه أن موسيقى شائعة رائحة تطلق من الأزمنة والحوادث
والشعوب موحية إليه سر الفن الجليل فينقل الينا منها ما ينقل ،
جاعلاً لكل شيء أهمية خاصة تهز منا الشاعر ، وتستثير الحماسة ،
وتكيف الآراء . ومن معالجة الأديب للأزمنة والحوادث والشعوب
ينبعث لنا المزج العنان فيلقنا إلى أن في طبيعتنا رحاباً لم نكتشفها
وإن في أرواحنا ممكنات توسع أمامنا أفق الحياة .

وإذ يحدتنا الأدب عن النظريات والمذاهب والشخصيات
تتحزب مختارين لها أو عليها ، فتسخر نظرية وتؤيد نظرية ، تفت
شخصية ونحب أخرى محاولين الاندماج فيها ، ندحر مذهباً
ونقتصر لنفردنا ثقتين إلى نشره في الملأ مع رفاق نوليهم الثقة .
كذلك الأديب يجوز بنا ببحر الحياة المكفهر كسفينة استفتت
عن الشراع والقلوع وعن الرياح المؤاتية ، لأن له من نفسه القوة
التي تسوقه إلى الأمام . وليس من اختبار يمر به إلا تأثرت به
كتاباته ، فلا نقشاً تطلع إلى كل ما يحدث له منسائلين عن سر
قوته في الناعة ، وعن سر قدرته في الإبداع ، ذلك السر الذي
ذلك الجوهر المكنون المعرض عن كل تأويل وتفسير ، السباق
إلى أجواء من التفكير والإحساس والتكوين ، لا نأبه
لوجودها إلا بعد أن يجول جولته فيها

وسرعان ما يتصل الحاضر بالمستقبل في فن الأديب : جيل
جديد يتخرج على ألاءه وعلى مؤثراته ، فيشب حاملاً معه الفكرة
التي تنيل الحياة قيمة في تذوق الجمال الحسى والأدبي ، وفي ممارسة
الجمال تأملاً وسمياً وجهاداً ، رافعاً بيده مشعل الحب القتيل للوطن ،
والرجاء وللتقدم ، وللشهادة والبطولة ، ولإرضاء غريزة الحرية !

بين الأمم الأخرى ، بأذلة في سبيل ذلك المال والإعراء والدعاية والجهود . أما نحن فانشأنا لغتنا شيء واقع ، وبرزت هذه تربية بين الأقوام العربية برابط قوى حاملة الفرد الواحد منا ملايين رسالة الأديب تعلمنا كيف نخلق حضارة أدبية ، إذ بها لا نغيرها تقاس مواهبنا ، ويسر عور طبيعتها ، وهي التي تثبت وجودنا ، وتنطق بلساننا مترجمة عن مبلغ الانسانية فينا

رسالة الأديب تعلمنا حب الميزة والمكون ، وترجمنا عن الفصحى وهو السطور ، فمتكف عن أنفسنا بما لم يمكننا للظفر بمجمود النتائج . فائسلة الهائلة على صفحة المروج ، حاملة نثار الحياة ، لا تولد حبها ولا تنضج إلا في أحشاء الأرض ، في جو الوحدة والهدوء والكتمان

رسالة الأديب تعلمنا ألا نخشى كارثة ، ولا نهيى مناصرة . كل زمن خطير في التاريخ كان زمن اضطراب وكوارث ، وأعظم فوائد الانسانية نجمت عن عصور العذاب والخطر . والخطير مرهف ، ولا يعرف شأن ذي الشأن إلا يوم الكربة . والعاصفة لا تقتلع إلا صيف الأغراس ؛ أما الأشجار ذات الحيوية المعصية فالأصبر تلح عليها وتهزها هزاً عنيفاً فلا تزيدها إلا قوة ومدة رسالة الأديب تردنا عن عديد الشخصيات القومية التي تجذب من كل صوب لتركزنا في شخصياتنا القومية الأبية

رسالة الأديب تعلمنا كيف نفهم كل شيء ونستفيد من كل شيء ، باحثين عن الصواب والكمال خلال كل نقص وكل زلل ، نازعين إلى الجمال الحسى والأدبي حيال كل دمامة حلقية وخلقية مساجلين النفوس والمناصر ، مناجين المنظور وغير المنظور ، لنجعل من حياة متناثرة متداعية ، حياة متناسقة مناسكة أى شيء لا تعلمنا رسالة الأديب ؟

إنها قوة تستفز قوتنا ، وموهبة تحفز مواهبنا ، وصرامة تردنا عن الحفارة ، وبسالة ندفعنا إلى البسالة ، وعذوبة تؤاسى أحزاننا ، وأغرودة تطرب أشجاننا ؛ وهي عالم مستقل متماسك يسوقنا إلى تكوين عالنا المتألف المستقل ؛

نحتاج إلى الأديب يأخذ منا ويعطينا ، فيرسل صوته أريجاً رديناً مسيطراً أخاذاً حضائناً ؛

ونحتاج إلى رسالة الأديب قوية غنية عديدة ملهمة لتوقف قوميتنا في مكانها المشروع في مرض القوميات بميدان العمران العظيم ؛

« مى »

رسالة الأديب تعلمنا أن لكل قطر من الأقطار العربية حضارة غابرة حلت محلها الحضارة العربية ناسخة عنها وعن غيرها لتسبكه في قالبها وتدمجها بطابعها الخاص . رسالة الأديب تعلمنا أن الغرب الحاذق عرف كيف يقتبس عن حضارتنا يوم كانت حضارته وثقافته وشيكة . ولكن ما أغرر ما استفاد وما أحسب ما أنتج ، وما أبدع ما ابتكر ؛ وإن الحضارة العربية كانت الصلة الثابتة بين الغرب الجديد وحضارة اللاتين والأغارقة . وها هو ذا الغرب يرد إلينا الآن دينه كشعاع من الشكر بما ينشره بيننا من ثقافة ، فليتنا أن نأخذ عنه بمثل المهارة التي أخذ بها عنا .

رسالة الأديب تعلمنا أن الحضارة الميكانيكية أدوات تستعملها ونستعملها ، لا أدوات تستخدمنا وتستعملنا . وإنه لا يكفي أن يضغط امرؤ على الزر الكهربائي فينال سحري النتائج ، وأن يمتطى سيارة أو طائرة فيطوى شاسع الأبعاد ، وأن يرقص رقصة ويصير إلى إذاعة ويشمل التألق والحذقة متكلاً بخليط من لغتين أو ثلاث — لا يكفي كل ذلك ليكون شخصية متميزة تهاب هيبها الأكوان

رسالة الأديب تعلمنا أن الحضارة الآلية التي ألفتها ولم يكن يحلم بها أجدادنا تجعلنا اليوم أشد احتياجاً منا في المائى إلى ثقافة أدبية تدعم الحضارة الآلية وتكون لها ركناً ركيناً . وإن هذه الحضارة الآلية المتنقلة بسرعة من بلد إلى بلد ومن جيل إلى جيل ، نعم بها — ونشوق ! — دون أن يكون لنا يد فيها . أما الثقافة الأدبية فيجب أن يحصلها كل فرد يوماً فيوماً ، وساعة فساعة ، مدى الحياة

رسالة الأديب تعلمنا أن للعالم العربى على تعدد أقطاره وحدة واحدة تشغل مكاناً فسيحاً في القارتين الآسيوية والأفريقية . ويستطيع أن يقول هذا القول علماء الجغرافيا وعلماء التاريخ وغيرهم . ولكن للأديب فناً مغرباً ينيلنا الثقافة والفائدة ، بيننا نحن نرتع في محبوبة من اللذة والنعمة في جو ممغنط أخاذ هو في الواقع جو الحياة

رسالة الأديب تعلمنا أن نفاخر بلغتنا العربية الممتازة على سائر اللغات بأنها ولدت قبل لغات قديمة اندثرت منذ قرون ، وما زالت العربية تفيض حياة ، مجارية حتى أحدث اللغات بالقوة والمرونة والجزالة والرشاقة . كل أمة تسمى الآن إلى نشر لغتها

التاريخ في سبر أبطاله

ابراهيم لنكولن

هجرة الاصرار الى عالم التربية
للأستاذ محمود الخفيف

- ٦ -

—>>><<<—

يا شاب الرادى ! خذوا معاني العظمة في
نفسها الأعلى من سيرة هذا المصطفى العظيم

وما حيلة الطب في توافر توبق الروح ، وهو اجس تعنى القلب ؛
وإن بدت آثار هذه وتلك في نواحي البدن يحجز الطبيب ، ولا عجب
أن يعجز ، وجاء الصديق ليفعل ما لم يستطع الطبيب أن يفعل ،
وهو خير باللة عليم بموضعا من نفس صاحبه

باع سيد حانوته وعول على الرحيل إلى كنتوكى فمرض
على صاحبه لنكولن أن يذهب معه إلى هناك عله يشق مما به في
تلك الأحراج التي درج منها أول ما درج . دعاه سيد أن يترع
نفسه وجسمه من ذلك البلد الذى بكرهه الميث فيه بعد أن كان
منتجع آماله ومهوى خواطره ، ورحل ابراهيم مع صديقه وقد
اخترم المم جسده فزاده محولا على نحول ، وزين له الشيطان أن
يطلب النجاة من الحياة ... !

ولبت في كنتوكى أياما ، اتى فيها من كرم صاحبه وكرم
أمه وأخته ما هون عليه أمره شيئا قليلا ، وصاحبه لا يفتأ يسرى
عنه ويتصح له ، وهو يشكو إليه اضطراب أعصابه ويظهره على
هواجس نفسه ، ويذكر له والألم يبرح به فملته التي فعل وكان
فيها غير كريم ، بل وكان من الضالين ... بيد أنه لم يلبث وقد
كان يلتمس العون من صديقه أن رأى ذلك الصديق في حاجة
إلى من يعينه ، فقد طاف به على حين غفلة طائف من الحب —
ملك عليه قلبه وعقله !

وانقلب الأمر فنذا لنكولن هو الناصح ، وراح يجهد أن
يهدى صاحبه حينما وسوست إليه نفسه معاني كنتاك التي كانت
تجول في خاطره هو : معاني الحيرة والتردد والشك . فلقد أصبح
سيد يبحر في أمره كما أصبح ينتابه الخور كلما اتجه فكره
إلى الزواج شأنه في ذلك شأن ناصحه . وكان فيما يسديه ابراهيم
من نصح لصاحبه مسلاة له أو شاغل يشغله عن وجده ؛ على أنه
وهو في كنتوكى كتب رسالة في الانتحار ترينا أن النعمة أو اليأس
كان قد أوشك أن يذهب عنه . خذ لذلك مثالا قوله : « إنى لم أصنع —
في الحياة شيئا يذكر أى إنسان أتى عشت . ومع هذا فإن
ما أعيش من أجله هو أن أربط اسمى بحوادث يوي وجبلى ،
وأن أقرن ذلك الاسم بصنيع فيه لمن حولى من الناس جدوى »
ولما عاد إلى سبر بحفيلد ظلت كتبه مدة أكثر من عام تترى
على صاحبه ، وفيها من حسن النصيحة وقوة الاقتناع ورقة العاطفة
ما يكشف لنا عن حقيقة نفسه . ويصور نزعات وجدانه . كان
يمزو ما بات صاحبه يشكو منه إلى اعتلال أعصابه وإلى ما تحده
الوحشة والبعد عن الخللان وأحاديثهم في مجالس لهوم من انقباض
وضيق ، وإلى ما تركته الوراثة في طبعه من شدة التأثير وقوة
الانفعال ؛ وكان يكتب ذلك في جلاء وقوة حجة مما من أبرز —
صفاته . وكان عجبا أن ترى مثل ذلك من لنكولن ، فترى فيه
العالم النفساني ، والشاعر الرقيق العاطفة ، وهو الذى علم نفسه
بنفسه ... !

وتزوج سيد بعد ذلك وبقي لنكولن حيث هو ، موقفه
اليوم من ماري عين موقفه عقب ذلك الفرار الشائن ؛ فعاد
إليه بذلك ما شغلته عنه قصة صاحبه زمنا من هوم نفسه !
وأصبح فإذا هو ضائق بوساوسه . وزاده تبرا ما يحاله وإبكارا

لنكون ققال له في غير وناه ولا استخذاء : إنه يأخذ الأمر على عاتقه ، وإنه لذلك في حل من أن يذيع اسمه . وتم ذلك فكانت المباراة ... فلقد تحدا ذلك السياسي أن ينازله ، وشاع أمر ذلك في الناس فاحتشدوا ليشهدوا ما يكون بينهم ...

وكان لإبراهيم من طوله وفتونه وقوة ساعديه ما بضمن له العوز على منازله القصير ؛ فتناول سيفاً طويلاً ولم يزد - والناس يتطلعون - على أن ضرب به غصناً فوق رأسه فألقى به بعيداً . ثم جلس وفي عينيه أنه يريد أن يلقى إليهم حديثاً وراح يحكي ويستجمع الأمثال ... وتداخل الناس وسوا ما كان بين المتخاصمين ، وانقلب الجدل العاصم إلى فكاهة عاتة

يبدأ للحدث نصيبه من الأهمية ؛ فلقد ترك في حياة لنكون صفحة ظل يندى لها جبينه أبداً ، كما حق لما رأى أن يتحدث إلى الناس أن إبراهيم ما فعل هذا إلا دفاعاً عنها وحفاظاً أن ينالها شيء من غضب ذلك السياسي . وطاب إبراهيم بذلك نفساً . وقربت الأيام بينهما حتى باتا من جديد يأخذان الأهبة للزواج . وما هي إلا أيام حتى ربطهما ذلك الرباط المقدس وهو يومئذ في الثالثة والثلاثين

واستثنى إبراهيم نسيم الراحة أن أخذت نترابيل هواجسه ويتبادل هوانه على نفسه ، وأخذت تعود إليه ثقته بتلك النفس سيرتها الأولى ، وإن كان الدين شهدوا المروسين حين مُقِد قرائنها رأوا لنكون وعلى وجهه سحابة من الكآبة والرجوم كانت تنفث حيناً على ما يتكاف من بشاشة ثم تعود فتتعقد !

وأقام لنكون أول الأمر وعروسه الطموح المستعظمة في حجرتين صغيرتين في زل كانا يدفان أجراً لها أربعة دولارات كل أسبوع . وعظم ذلك على ماري فشكت إلى زوجها ولم يحض على زواجهما غير قليل ، وهو يلقى إليها العاذير مشيراً إلى ضيق رزقه وإلى ما لا يزال يقتضيه الوفاء من ديونه ... وبسط الله له رزقه بعض البسط ، فانتقل الزوجان إلى بيت صغير استطاعا أن يدفعا في غير عسر أجر إقامتهما فيه

وأخذت ماري في بيتها الحديد تدبر شؤونها وترعى أمره ، وقد أخذت لنفسها سلطة ربة البيت لا تتنازل عنها فيما عظم أو هان من الأمور ، حتى لقد كانت تأخذ زوجها بألوان من الشدة والنفخ حيناً كانت تدعوه إلى كبت وتصرفه عن كبت ، ورائدها

لشأنه ما كان يسمعه من صاحبه عن سمادته الحديدية بين يدي زوجته ... لذلك لم يكن عجيباً أن يلتبس الكيئة من جديد عند فتاة ناهد كان قد عرفها قبل أن يعرف ماري . بيد أنه كان يتجه بينه وبين نفسه إلى ماري ، فهو لا يستطيع أن يتعد بحباله عنها . قال في كتاب من كتبه : « يحيل إلى أنه ينبغي أن أكون جد صعيد لولا تلك الفكرة اللازمة لي ، ألا وهي أن هناك شخصاً غير سميد عملت أما على أن يكون كذلك . إن تلك الفكرة ما تزال تريق روحى ؛ ولا معدى لي عن أن ألوم نفسي حتى على مجرد الأمل في السعادة في حين أنها على ما هي عليه »

وكان لنكون يحدث نفسه أنها لا تزال على الرغم مما حدث بحيث يتأتى لها أن يتصلا إنهما أرادا ذلك . وكانت هي من جانبها تحس أن ما كان منه من هجران وقطية قبيل ما استعداه من زفاف قبل ذلك بعام ونصف عام لم يصل على شناعته إلى مثل الصدمة القاضية ...

ودبر رجل من صحابتهما وزوجه أن يدعواهما إلى مأدبة على جهل كل منهما بدعوة الآخر . وتم ذلك فالتقيا وتضاحكوا جميعاً بعد أن ذهبت عن إبراهيم وصاحبتة ربكة المفاجأة . وكان ذلك اللقاء والخطوة الأولى نحو الثام الصدع واجتماع الشمل ؛ إذ أصبح لنكون يرى حقاً عليه أن يصلح ما أنسد وأن يضع حداً لما هو فيه من شيق وشقاء

وحدث بعد ذلك أمر غريب في ذاته ، على قدر غير قليل من الأهمية من حيث نتيجته : ذلك أن إبراهيم ، وهو الرجل الذي ملك القلوب بدمائته وورقة حاشيته ، قد دخل غير متردد ولا هياب في مبارزة تدور على السيف ، وكان لتلك المباراة سبب يدهش له الإنسان أن كان ممثله شخص مثل لنكون ! فلقد نشر إبراهيم في إحدى الصحف كتاباً على لسان أرملة وحيته إلى أحد رجال السياسة تسفه فيه آراءه التي أذاعها ، وكان التهم كماً لا ذعاً والنقد قاطعاً ، فأثار الكتاب فضول الناس كما أثار ضحكهم وإهجابهم ؛ ووردت على الصحيفة ردود قواسمها المجانة والمأبثة وكما غفلاء من أسماء أصحاب ... وكان لما رأى في هذه الردود نصيب . ونارت فائرة ذلك السياسي وراح في المدينة يتهدد ويتوعد ؛ وجاء صاحب الصحيفة ومنه وتهدهد بالانتقام إلا أن يصرف صاحب هذه المجانة . وعرض صاحب الصحيفة الأمر على

في ذلك النظام كأدق ما يكون النظام . وكان يصل بها النضب أحياناً إلى هياج شديد ، وذلك حين كانت ترى من بعلمها أن بآي إلا أن يرسل نفسه على سجيئها ، فكثيراً ما لا يعبأ بما صالح الناس عليه أذواتهم من أوضاع وتقاليد يلزمونها وهم جلوس إلى مائدة الطعام ، أو وهم سامرون في الثوى . وهل كان يستطيع ابن الأحرار أن يتكلف ما لم يجر في طبعه ؟ ولكن إصراره لا تفتأ توجهه إلى العناية بهندامه وتحمته على النظام وأنه ذلك خليف به وله في الناس مكاشته ؛ وهي تريد على أن يحمل الأمر على الجدل وهو يجاريها ليخفف من حدتها ثم لا يستطيع بعد ذلك أن ينير من طبعه . وكان إذا اشتد بها النضب يلاطمها ويضاحكها ليصرف عنها غيظها ، فان عجز عن ذلك خرج من المنزل فشى ساعة أو بعض ساعة ...

وحق لوجه أحياناً أن تنضب منه ؛ فهو سخى اليد وإن كانت به خصاصة ، وهي لا تريد أن تبسط يدها إلا بقدر ما تستطيع . وهو يلقى الناس في البيت في هيئة تنم على عدم المبالاة ، ثيابه متبدلة وشمره أشعث ، وعباراته ساذجة ، وهو يستاق على ظهره أحياناً ويتمدد على الأرض وفي يده كتاب لا يصرف وجهه عنه ؛ ويتدخل أحياناً فيما ليس من أمره فيحلب البقرة في الحديقة ، ويحمل اللبن في وعائه بين يديه ويهرول به إلى الدار على أعين السابلة والخيران ؛ ولكن زوجه على الرغم من ذلك تحبه وتكبره ، وتنتظر ما يجنبه له اللد من جاء وسلطان كأنها تعلم التيب أو كأنها ترى ما لا يراه الناس . وكتب لتكولن إلى صديقه سييد يبنه أنه رضى النفس قرر الدين ، ويمتد له من عدم زيارته إياه بفقره وشواغله ، ثم يشره أن قد صار لها غلام ...

ذلك ما كان من أمر لتكولن فيما هو متصل بحياة الشخصية ؛ بيد أن زواجه من تلك المرأة كان حادثاً عظيم الأهمية في حياته ؛ فلقد مر بك من صفاتها أنها امرأة ذات طمع وطموح . وأنها كانت ترى بما يشبه اللقانة الطريق المؤدية إلى عليا المراتب ، وما كانت تقنع بما هو دون مرتبة الرئاسة ؛ لذلك كانت لزوجها خير معين حين تقدمت خطواته في ميدان السياسة . وكثيراً ما كانت تدره إلى الطريق السوي إن هو أوشك أن يتكبر . ويتجلى ذلك في عدة مواقف سيأتي حديثها بعد حين ...

نرجع بالحديث بعد ذلك إلى حياته العامة في السياسة والحمامة .

أما في السياسة فقد ظل ينتخب نائباً عن سنجمون ، كما تجدد الانتخاب ، حتى لقد ظفر بثقة الناس أربع مرات متوالية . وأما في الحمامة فقد تركه شريكه ستيوارت إلى وشنطون حيث اتخذ مقعده في المجلس العام للولايات ؛ فعمل مع شريك آخر قبل زواجه من ماري بثلاث سنوات ؛ وكان هذا الشريك يدعى لوجان ، وكان لوجان من أكبر المحامين شهرة في المدينة ، وكان له من صفات النظام والدقة والإلزام بأوضاع المهنة ومطالبها ما كان يموز صاحبه لتكولن . وكانت له في العمل الرئاسة . ورعى لتكولن عكاه منه ولم يجد في ذلك غضاظة إذ لم يكن منه بد ؛ وأخذ يتعلم عنه ويكتسب بمصاحبة المراتة والخبرة ؛ وهو قانع بنصيه من الأجر ، وإن كان يرى من زميله أنه لا يعدل في ذلك وإن كان لا يميل كل الميل . ولم يكن تحت ما يحول دون استمرارهما سوا لولا أن فرقت بينهما ربح السياسة إذ كان كل منهما ينتمى إلى حزب يخالف حزب الآخر ...

ولما قضى الأمر بينه وبين لوجان ، اتخذ له زميلاً آخر . وكان هذا الزميل شاباً دونه في العمر بمشرة أعوام اسمه هرندين . وكان هرندين هذا من أشد الناس إعجاباً بأبراهام ومن أعظمهم محبة له وإكباراً ، فتوقفت عرى الصداقة بينهما . وكانت لأبراهام الرئاسة هذه المرة ، وعظمت ثقة كل من الرجلين بصاحبه . وكان أصغرهما موفور الحظ من النشاط والدكاء ، كما كان كزيميله في مذهبه السياسي ومن الداعين إلى القضاء على السبيد ...

وعرف إبراهيم في الحمامة بما لم يعرف به أحد قبله في المدينة ؛ فهو بسيط في كل شيء ، يجعل الأمر أمر ذمة وإخلاص قبل أن يكون أمر قانون ومثالب ؛ وينظر في تنازع الناس نظرات يوحى بها قلبه قبل أن يرسمها عقله . يرد كل شيء إلى طبيعته إذ كان يقيس الأمور بما كان يدور في نفسه ، ولا يتردد أن يفصل بين المتنازعين بما لو فكر فيه غيره لعد من ضروب الخيال والوهم ... ولكن لتكولن كان له من إنسانيته خير سند ، ومن حسن طويته خيرها

جاء ذات مرة رجل يطلب إليه أن يدافع عنه ليرد له مبلغاً من المال عند خصم له ؛ فلما سمع لتكولن قضيته قال : « إني أستطيع أن أريح قضيتك وأعيد إليك تلك الدولارات السبائة ، ولكني إن فعلت ذلك جلبت الشقاء إلى أسرة أمينة ، ولن

حلي يزور باريس

في سنة ١٨٦٧

للدكتور حسين فوزي

تمة مانشر في العدد ٢٤٥

وينقل بنا الخواجا فرنسيس من أشور لصر ليونان لروما ،
فيقول في فلاسفة الإغريق :

فذاك أرسطو وذا إقليدس ذو منطق هذا وذا ميندس
وهو ذا سقراط ذاك الأنفس من كان للأدب دوماً يفرس
ثم يكون من سوء حظ ديوجينيس أن يجيء في الشطرة
الخامسة ، قلبه القافية الرائية مصباحه ، ولا يبق له من فلسفته
الكاتب إلا أن يكون :

وذا ديوجينيس ذو التمرى !

ورحالتنا رجل حساس بجمال فن التصوير ، فهو بأمرنا :
أن نمرج نحو مكان المصور حتى نرى أجمل صنع البشر
حيث عينه الفتاة لا تخفى عليها خافية :
فهاك كل بطل مبلرز بلوح في أعضائه البوارز
وكل خود ذات طرف غامر وأجن من الهوى رومان
وطلمة تحصف وجه البدر

لاشك أنك تعبت من التجوال - أو من الشعر ! -
والخواجا فرنسيس يشمر بذلك توا ، فهو يلاحقك بشعره القلبي
إذ يقول :

تبا لنفس حظها بصرعها وكل ما يزرها (كذا !) بالذعما
آفها تضجر بقمها فأينا سارت أتى بصفعها
وربما يلحقها للقبر

أظن أننا لن تنتهي بسلام من خمائية العلم فرنسيس ، وقد
نكفى الإشارة إلى أنه ينقل بك فيها من حديقة « اللوكسمبور »
إلى متحف « كلسوفي » ومن دار البلدية إلى « بولغار ميخائيل »
إلى لقاء بدويعه الجليل . ولا يذسى أن يمرج بك على حديقة
النبات ومتحف التاريخ العائبي حيث يدور بك شمرأ في أقسامه
من الجيولوجيا ، إلى المعادن ، إلى النبات ، إلى الحيوان . ثم هو

أستطيع أن أبين سبيلي إلى ذلك . لذلك أحس في الليل إلى أن
أنصرف عن قضيتك وأجرك . على أني أثبتك نصيحة لا أسالك
عليها أجراً : اذهب إلى بيتك فمكر في طريقة تزيهه تكسب بها
ستائة دولار ... بذلك وبأمثاله آخذ أيب الأمين سبيله إلى
قلوب الناس ، فما منهم إلا مكبره ومجبه . وكان الناس يجيئون
ليعكوه فيما شجريتهم ، وكلا الخصمين يعلن أنه راض بما يقول
سلفاً ؛ وسرعان ما كان يحسم النزاع بينهم كأنهم منه حيال قاض
لا محام ! وهو لا يسألهم أجراً على ذلك ، وحسبه من الأجر منزله
في قلوبهم ...

وكان يرفع الكلفة بينه وبين الناس كأنه أحدهم مهما كانت
درجته ؛ وكذلك كان يفعل مع صاحبه هريدن ، فهو لا يستحي
أن يسأله ويستفهمه أن أشكل عليه أسراً أو التوت عليه فكرة
كأنه تابعه ! فإذا ساق إليه الله رزقاً عده وقسمه نصفين ونادى
صاحبه : « هذا نصفك » ؛ كل ذلك دون أن يكتب شيئاً
أو يطلب من صاحبه كتابة ، فما كانت بهما حاجة إلى ذلك
وكلاهما يبدل من الأخلص والود بقدر ما يبدل صديقه

وكان صديقه يراه الناس في الحكمة يدس أوراقه في جيبه
حتى ليندبج وينتفخ ، ويرويه يدسها في قمته كأنه يجعل منها
قبعة وحفية . كان لا يعنى في شيء بمظهر وإن حرص كل
الحرص في كل شيء على الجوهر ... وكان في عمله كما كان في
منزله ، يأتي إلا أن يرسل النفس على سجينها ؛ وسبطل كذلك
حتى تتحقق له كبرى الرياسات .. والله ما كان أعظم تلك البساطة
منه في كل شيء ! وهل تمت بين التكاف التصنع وبين المصلاك
من كبير فرق ! إن أمرها واحد فيما أرى وإن بلغ من نمويه أولها
ما يكفي لأن يجيب عن الأعين حقيقته ...

الخفيف

(ينسج)

منار الرشيد

كتاب جديد يبحث في المذهب الروحاني

وبه تنظر الروح وترى الله

يباع في مكتبة الحلبي والمكتبة التجارية بالقاهرة

وتمه ١٥ قرشاً

ياخذ بيدك إلى متحف « الفنون والصناعات » ، وينتهي بك إلى باريس في الليل حيث يرى « السكك يمضون بها أزواجاً - ويدخلون في الصفاف أفراناً »

والآن وقد اجتازنا محطة شمر الخواجا فرنسيس ، يمكننا أن نتمتع دون وجل ببقية نثره . فنعود إليه في أول وصوله إلى باريس عند « انغلاق الصباح » تلك المدينة ذات التوارع « رجة المرض ، مستقيمة الطول ، حسنة التهديد والتخبط ... جامعة لكل شروط النظافة والانقار . فلا يقوم هناك للجيب الطاعونية انيمات ، ولا للأقزام (كذا) الوبائية حشر » — لاشك أن صورة عمران العثمانيين لسوريا ماثلة لعين الحليي المسكين وهو يكتب هذه الفقرة :

ودخل رحالتنا إلى مسارح باريس التمثيلية منها والفنائية ، فوجد الفرنسيين فيها « جامعين إلى دست واحد ما تفرقت قطعه في رقع السنين . وهكذا يحلون هذه الاستحضارات (ليفكرن صاحبنا بالتدلل) والاستظهارات بقلايد الآداب ، وفصاحة اللغة ويرجمونها بآلات الطرب وحسن الصوت ، بحيث أن المشاهد لا يسود يدرى بأى حاسة يستقبل وقوع الطرب (بحاسة الشم غالباً) أبينه أم بأذنه . فيرحل حاملها في دماغه نهاراً من الأدوار الأدبية ، وفي أعينه انهاراً من الأضواء الطبيعية ، وفي قلبه أنهاراً من بتاييع الطرب والحبور »

ولا شك أن ضوضاء باريس في سنة ١٨٦٧ كانت شديدة على آذان هذا الحليي — ليت شعرى ماذا يقول لو عاد إلى باريس سنة ١٩٣٨ — « حينما تكون الأعين راتمة في تلك الآفاق الزاهية ، تكون الآذان عرضة لانتظام تموجات الضوضاء الباريسية ، واسطدام تلك الرجات التي تبتلع لعلات الرعود ، وتهتضم طلقات الصواعق . فهناك ألوف المركبات متدقمة على الدوام اندفاع الأمواج إزاء مهب العواصف ، وألوف صنوف العربات منسحجة وراء خيولها الجائعة (تصور ألوف الخيول الجائعة وسط المدينة الماصرة) انسحاب السحاب بأزمة الرياح » وعن العمل والمال والنشاط البادى في كل مظاهر الحياة : « وهناك لا يفتر صياح ربوات أعمال الأيدي مطلوعاً من أفواء الآلات والأجهزة ، ولا تكف ألوف المامل البخارية صافرة

بأبواقها النارية لتدعو فرسان العقول — لاحظ اللغة التصويرية — إلى مواصلة النزال في حومة الابداع والاختراع ، تسديداً لواجبات القرايح ، وتشبيهاً لنظام الجماعة . وهناك الجميع يحجرون إلى الأمام ، الجميع يحركون ، الجميع يتسارعون ، الجميع يشتغلون ، الجميع متعاضدون سوية ، منصمون إلى قوة واحدة ، للركض إلى اقتحام كل المصاعب ، والوصول إلى قمة الكمال والجمال ... فكم سرور واندعاش للأعين إذآ ، عند ما ترى هذه الأمة الفرنسية تتموج على بعضها كقصعة واحدة ، بدون نزاع في جزئياتها ، ولا انقسام في كليتها ، سابحة في بحور الأمن والسلام ، بدون خوف من وائب أجنبي أو حمود غادر » ونسى الخواجا فرنسيس سياسياً في برلين اسمه بشارك بترص بفرنسا ؛ ويرسل « أولان » بروسيا يقتحمون باريس بمد أربع سنوات من كلاله عن « الوائب الأجنبي ، والحسود القادر » ، ويمقدون تاج الأمباطورية الألمانية على رأس غليوم الأول في قصر فرساي . قدما واصل رحالتنا كلامه عن « عدم خوف الأمة الفرنسية من وحش مفترس ، أو جبار مختلس — بالقدات : — رافلة بأذيال الحرية الكاملة » — في عهد الأمباطور نابليون الثالث تلك الحرية الكاملة :

أما عن أنوار باريس — وبقينا إن باريس كانت جديرة باسم « مدينة النور » حتى في ذلك الوقت — فالخواجا يتحدثنا عن « الأنوار النازية المندفمة من أفواء ربوات أمانيتها تحت أشكال السنن نارية تدعو باردي الروح إلى الدخول في كرة التمدن المتوقدة بلهب الحكمة والآداب »

ورحالتنا الحليي مدرك تمام الإدراك أن « كل هذا الجمال العجيب والكمال الغريب الذي رقت إليه هذه المدينة العظيمة » إنما هو نتيجة ارتقاء « العقل عندهم في طريق التقدم والنجاح ، ولم يصعد العقل إلى القمة العالية إلا بدرجة المدارس التي لا يفتر تشييدها ، ولا يكف نظامها . فيوجد عندهم لكل قسم من العلوم مدرسة تحيط به وتجمع شمله جملاً لا يقبل الغريق »

ثم هم « أقاموا في كل جانب من المدينة مكتبة عظيمة ، ممددة لقبول الجمهور مطلقاً . فيدخلون الناس إليها أفواجا ، ويقرأون ما يريدون ، وينسخون ما يشتهون بكل راحة وهدوء بال ...

ولقد لاحظت رحلتنا والألم يحز في فؤاده أن مراكز الطلبة غير محترمة في باريس . وتفسير ذلك عنده « أنه ما لم يحصل الدارس أولاً على شهادة مدرسية ، فإنه لا يمكنه الحصول على ثمرة دراسته وجائزة أتمائه . كما أنه بدون رنين هذه الشهادة لا يسمع أحد به ، فلا يوجد له اعتبار ، وربما كان ساقطاً من أعين الناس لكونه دارساً . سيما إذا كان يدرس الطب أو الشريعة » . وسترى أن طلبة الطب والحقوق في عصرنا إنما يحتفظون بسمعة قدامهم السيئة . وإليك تفسير الخواجا فرنسيس ، وهو ينطبق في بعضه على المصر الحاضر :

« وما ذاك إلا لأن سيت درسة (طلبة) هاتين الصنعتين لا يوجد عندهم أقبح منه . ولا جرم في شيوع هذا الصيت الردي لأنه يوجد حقيقة قسم كبير من هؤلاء الدارسين مطلق العنان إلى ارتكاب الكبائر والجرائم ، عوض الانكباب على الدراسة والمطالعة . فترى جماعة هذا القسم تأهين في عالم الشهوات ، وضارين في أودية المعاصي . فهم بطوون النهار ويحيون الليل ما بين السكار والخسارات ومحلات الانهماك على المساء ... فترام هناك مقصوى العرى ، محلول الثياب ، مشوشى الشعر . وبرايتهم مقلوبة إلى الوراء كأنها بحفلة من أماراتهم »

وكان من سوء حظ العلم فرنسيس أن يشهد Chahut جامعياً في داخل قاعة المحاضرات : « وقد شهدت شيئاً من ذلك ضد أعظم معلمى النباتات عندهم . وهو أنني دخلت إلى القاعة المعدة للخطابات ، حينما كان المعلم مزمعاً أن يفتتح كلامه على النباتات . فرأيت المحفل مضاعف الاحتفال . أي أنني وجدت عدداً وافراً من الدارسين الذين لم أصادفهم قط في محلات الدراسة . فغالب دخل العلم لابساً ثيابه الرسمية ، وسعد على منبر الخطابة ، أخذ هؤلاء الدارسون يصيحون ضده ، ويصفرون ويرمون ويدبدبون بأرجلهم حتى لم يتركوا له سبيلاً للفظ كلمة . وكلاً رأوا شفقتيه تتحرك أوتهم على الحركة أزدادوا الضوضاء والصراخات . وفي أثناء ذلك دخل رئيس المدرسة نفسه ليرجوم أن يستمعوا لهذا العلم . فلما نهم عن دخوله سوى تضاعف صرير الحركة ، ولم نشأ أن هبط الخطيب من منبره فانفض المجلس » .

لا حاجة إلى وصف الخواجا فرنسيس بأنه رجل ساذج فقد عمرته حينئذ جودة البهنة وصار مهوى لتيار الاقشمار ، وكان

ولما كان يوجد جانب كبير من العلوم يستلزم كونه عملياً وعيانياً بمد كونه نظرياً ، فقد شادوا لذلك محلات مخصوصة يسمونها بالموزيوم ، وأشحنوها من كل المواد الضرورية لدراسة موضوعها » وقد وجدها الخواجا فرنسيس منسمة إلى ما يشتمل على « الاستحضارات التاريخية جيلاً فجيلاً ، وأمة فامة ، إن يكن بالنظر إلى أعمال الأبدى ، أو إلى الأديان والمقاييد ، أو إلى العادات .. وما يشتمل على المواد التي يتألف منها جسم الأرض وما يشتمل منها على الأجسام المشرحة مع كل أعضائها وأجهزتها حيث يتأمل الانسان كل نواويس نموه منذ كونه دودة وليس بإنسان ، إلى كونه إنساناً عظيماً ... وما يشتمل على العالم النباتي بكل طوائفه ... أو العالم الحيواني بكل أجناسه وأنواعه ... حتى يدرك نظام حيوة كل نوع وفرد ، فيعلم أخيراً أن الحيوان كما انتصب هيكله ارتفع نوعه . حتى إذا ما وقع رأسه عموداً على محور سلسلته كان إنساناً »

وقد رأى أن « هجوم الناس على العلوم والمعارف يشبه انحدار النذران من أعلى الجبال . فترى الآباء يسرعون إلى وضع أولادهم في المكاتب حالا بمد فطامهم (أى والله !) » .

ومن أدق ما لاحظته العلم فرنسيس اهتمام الفرنسيين بدراسة لغتهم ، إذ يجب « أن يعلم كل منهم قواعد لغته وفهم أصولها . والذي يجهل ذلك يعتبر عندهم كالحيوان المديم النطق ، لعدم معرفته صحة النطق ... وكذا ازداد الشخص معرفة وتممقاً بلغته ، ازداد اعتباراً وكرامة وارتقاء ، إلى أن يجعلوه قاضياً في محكمة اللغة إقرأ : (Membre de l'Académie Française) . »

وكيف يرى الخواجا فرنسيس الحلبي كل ذلك ولا يفكر في ضمة الشرق وانحطاطه ، أو لا يقارن بين ما ينال العالم في فرنسا وبين ما يصيب من له في الشرق « هوس في العلم ، فيعيش مقطوع الخرج ، وربما يحتقر ويهان . ولا يحصل على شيء من الجوائز سوى قول الناس عنه : هذا نحوى بارد ، أو شاعر مشعر ، أو بمرفينو ، أو فلفوس . وإذا كان يروى شيئاً من التاريخ يقول عنه : هذا حكا كافي . وخواجتنا العلامة لا يدعك تتسائل عن أصل هذه الكلمات ، فهو يفتح قوساً ليقول لك بأنه « يوجد كثيرون يقلبون شاعر إلى مشعر ، وعارف إلى بمرفينو ، وفيلسوف إلى فلفوس ، وحكاياتي (كذا) إلى حكا كافي ! »

قلبه يقابل ارتجاف المحل بارتجاف الرعدة . ولدى خروجه سأل البعض عن « سبب اندفاع هذا البركان البايع ، فقيل له إن هؤلاء الدارسين يعتقدون كل معلم بدقيق مسائل الامتحان لسكونهم لا يدرسون إلا نادراً وقليلًا . ولذلك يريدون عزل هذا المعلم أو تنكيس أعلامه لشدة تدقيقه عليهم في الامتحان الباقي بحيث لا يمكنهم احتمال ذلك لضيق دراستهم » . ويطلب على طائي أن السبب في هذا الـ Chahut كان سياسيًا . وأقرب الحوادث من نوعه إلى أذهاننا مظاهرة طلبة الحقوق ضد البروفسور جيز أيام كان يدافع عن قضية النجاشي في عصية الأمم . نعم إن قسوة الأستاذ في الامتحان ربما ساعدت على تظاهر الطلبة ، ولكنها لا يمكن أن تكون سبباً بعميقاً . وما رآه الخواجا فرنسيس يرجع في ظني إلى الشعور الجمهوري الذي كان ينفجر من آن لآخر بعد قلب الجمهورية الثانية وتنصيب البرنس نابليون إمبراطوراً باسم نابليون الثالث

وواضح أن الخواجا فرنسيس رجل قليل التسامح . فهو الدارس — رغم الثلاثين وبلوغها — يحارى الرأي العام في الزاوية بالدراسة حتى لينتقد لباسهم . ولا شك أن هذا الحلبي لابس القنباذ كان آخر الناس أهلية للحكم على لباس الطلبة في باريس ؛ وهذا الشرق كان آخر من يحق له أن يحجر على حرية الطالب الباريسي ؛ ومع ذلك يقول : « والنظر الساذج إلى أولئك الدارسين يوثني بقبح سلوكهم ، لأن ملابسهم تعبر عن منافسهم ، فهم يلبسون بنطلونات هكذا ضيقة حتى تكاد تتمزق بين أنفخاذهم ، وسترات هكذا قصيرة حتى لا تخفى شيئاً من الإيتين إلا قليلاً ، وشمورهم طويلة منفوشة ، وبرانيطهم عريضة كثيرة الانفراج هضيمة الكشح . وكلما كانت البرنيطة تامة في هذا الشكل كان صاحبها أكثر تقدماً في ذلك الضرب ، حتى تخال البعض من هذه البرانيط نظير غمامة سوداء على رأس حاملها ، فتى لاح هكذا شخص قال الناس : هو ذا الدارس ! »

قالعلم فرنسيس بأسف على وجود « هكذا سرب بين دُرُس الطب والشرعية أوجب سقوط الجميع من أعين العامة مدة الدراسة مع أن جماعة القسم الأكبر — والذي عليه المول — لا يسلكون تلك الطريق . بل يسرون في سبيل مضاد على الخط المستقيم ، وعوض أن يطفئوا بمياه الشباب لهبات الشهوات إنما يستقطرونها

بأنابيب أدمغتهم المضطربة بنار الاجتهاد والحمية »

ويستطرق رحالتنا من كلام عن الدراسة المحتشد إلى ختام وصفه النثرى لباريس حيث له حديث طويل عن « بحار التمدن المتدفقة من محابر رجالها ، وأنهار الأدب جارية من بنايع أفكارهم » وعن « ممالك الأباطيل والأضاليل ، وعروش الحقائق والهدى » . ثم يتحدث في لنة سامية عن الفكر « وقوته التي تغلب جميع القوات ، ولا تعرف راداً إذا جحت ، ولا صامداً إذا اندفعت » . ويضرب لهذه القوة أمثلة أجاد اختيارها حقاً ، فهو يقول : « أي قوة أوقفت حركة الأرض بعد ما أدارها غاليليل (جاليليو) على محورها ، ودفعها تكرر على محيط دائرة البروج . وأي قوة هدمت بناية الإصلاح بعد ما أنشأها فكر هوس (Jean Hiiss, de Prague) . وأي قوة أوقفت دوران الفهم في أوعيته بعد ما أجراه فكر هارفي (Horvey) . مع أن ذلك حبس وذاك حرق (جان هوس أحرق على ما أذكر) وذا اضطهد »

« ولما عرف بنو المغرب كونهم محملين بقوة الفكر ، أخذوا يهذبونها ويشقفونها ، ويستظهرون نتائجها بدون التفات إلى تهديدات الفرضين ، أو معارضات المفضين » . وبذلك « بلنوا هذا الباع العظيم من الفلاح والنجاح ، وتركوا بقية العالم يتقهقر وراءهم ، ويتساقط تحت أحمال كبرائه ، وأثقال ثقلائه ، فاقد التفكير وعديم النطق »

وهذه الإشارة المستترة إلى « تساقط الشرق تحت أحمال كبرائه وأثقال ثقلائه ، فاقد الفكر وعديم النطق » تشتري كل كبوات الأسلوب عند الخواجا فرنسيس ، فهو رجل سليم التفكير جدير بالتهنئة على كتابه الساذج ، ولو أن هذه التهنة « تشبع بوجهها » أمام شعره ، وإذا كان نثره « يسد منا » بصوره العنيفة المزدحمة ، فإن خلوه من التسجيع الذي كانت ضرورة من ضرورات الكتابة في عصره ، يشهد للخواجا فرنسيس بروح استقلالية منكورة ، كنا نود أن نراها تعمل على إقصائه نهائياً عن الشعر بعد أن عصمته من السجع

ويختتم الرحالة كتابه بفصل إضافي عن معرض باريس العام في سنة ١٨٦٧ . ولكن هذا الفصل لا يمكن أن يزيد معرفتنا بالخواجا فرنسيس ... حتى ولا بذلك المرض

مسيه فوزي

ربيع ! للأديب صلاح الأسير

« إلى الأستاذ أمين نخلة »

حَلِمَ الورْدُ بالصباح ، وجُنَّ النَفْسُ شوقاً لَزَقَاتِ الطيورِ
وارتدى العصفُ حائراً يتلوى في دروبٍ محوطةٍ بالطورِ
يرقبُ القاصِفَ السَّخِيَّ من الرعدِ ترائي على يدِ الزمهريرِ
ورؤى النورِ هَوَّمتْ في الروابي تحملُ العَجَرَ في القمِ المَقْرورِ
أَتَعْبَتِهَا الرِّيحُ ، أَتَعْبَاهَا البرْدُ دُفَلاحتْ مَزْرُورَاتِ الثَّغُورِ
فإذا الغَابُ قطعةً من سوادٍ وإذا الأفقُ مكفهرُ السُّتُورِ
وإذا للناسُ تَاهُونَ حَيَارَى رهبوا غمرة الظلام الضَّرِيرِ
وإذا التهرُّ صاخِبٌ يدفعُ الصَّخْرَ ، ويرى بنفسه في الصَّخُورِ

وتراعى الربيعُ ، في الروقِ الضَّاءِ حتى سَخِيَ الأجواءُ رَحْبَ المَرَادِ
يزرعُ الدفءَ في القضاةِ ويهفو خاضباً بالطيوبِ وجهَ الوهادِ
ويريقُ الهناءَ ملءَ مرادٍ إلى أرضٍ خصباً وملءَ ظنِّ العبادِ
فترى السَّوْحَ واثباً في الأعلى أخضرَ الزهو ضاحكاً المِلَادِ
يَحْضُنُ الطائرُ الندى ضاقِ ذرعاً يبروقِ الشتاءُ والأرعادِ
ويطيبُ الهواءُ في موكبِ الصَّحْوِ ويسرى العيرُ في كلِّ وادٍ
فترى القَابَ نضرةً والورودَ السَّحَرِ عرساً يَفْضُ بالأورادِ
وإذا الكونُ حالمُ النعم الخضرِ تعالت صلواته في النجادِ

يابنات الربيعِ غنَّينَ أحلامٍ غنَّينَ بالهوى والهناءِ
واستيقنَ الشَّعاعُ في الروضِ واثمناً خفافاً بواكرِ الأنداءِ
ماترينَ الفراشَ يرقصُ في الزَّهرِ خفوقِ الجناحِ غصَّ الروادِ
واثباً يلتقي الننى تهادى دون أجوائه الرحابِ التوائِ

والنسيمُ النَّدَى ينفجُ بالطيبِ وجوهَ العرائسِ الزهراءِ
يابنات الربيعِ رفرفنَ في الجوى وداعينَ رفرقاتِ الهراءِ
والتغينَ الرَبَى تَضِيعُ بها العَينُ نداءً لغسوةِ الخضراءِ
فكرةً أنتِ حارٌّ في فهمها الكوْنُ نُوأعيا بها رحيبُ القضاءِ

ياربِّعي تنامُ أنتِ وفي الكوْنِ ن ربيعٌ بموجِ حلوِ البرودِ
وعناري الربيعِ في القريةِ الواحِشِي يَغْنِي خافقاتِ الهودِ
ياربِّعي أفقٌ ودعْ لي صباحي تائهاً في رحابه والنَّجودِ
حالمُ التفتُّكِ في ولهٍ الحَيرةِ رؤى على الربيعِ الجديدِ
أنتِ منى هوائِي أنتِ أغانيَّ وحلمُ رأيتُ قبلَ وجودي
أنتِ طيفُ الإلهِ في عالمي البَكرِ وأسطورةِ الزمانِ البَعيدِ
قَمِّ بنا محضُ الربيعِ وأغدو في ربيعين ، يافعٍ ووليدِ
وأنا ابنُ الربيعِ الفُضياءِ السَّامِعِ وابنُ الجمالِ ، تربُّ الخلودِ

صمدح الأسير

« بيروت »

إلى ...

للأستاذ إبراهيم العريض

تعالى فان الليلَ يسطُ ظله لكي يمتلئ ناشئ الزهرِ حِلَّةِ
وإن فؤادي برغم في يدِ الصِّبا ساعدُهم نشراً منه إن لم أطله
وثمت سرٌّ كامنٌ فيه كالشذا ولم أنشئُ منه إلا أقله
طوى باكياً كالزهرِ أوَّلَ صفحةِ

من العمرِ حتى يضحكَ العمرُ كله
ولحنٍ كترجيعِ الربابِ إذا انتنى عليه بخمسٍ مُطربٍ فاستهله
يوقِّه قلبِي على وترِ الهوى تباعاً ... فأقضى ليلتي أثوله
ولا من نجى إذ أحاولُ بثَّه كأحسنِ ما بثَّ الحبُّ هوى له
سوى شبحٍ أن يطرفَ العينَ لمحهُ أُنكرُ دمعِي في الضلوعِ محله

إبراهيم العريض



وأأسفاه ١١

شارلس لام بروي عن شاكير^(١)

قصة الشتاء

للأستاذ دريني خشبة

أحب ليونتنس ملك صقلية زوجه الحسنة الفاضلة هرميون
حباً يقرب من العبادة

وكان صديقه بوليكسينز ملك بوهيميا أحب الناس إليه بعد
هرميون، لأنه رفيق الصبا وخذن الشباب وزميل المدرسة...
فلما فصلت الأيام بينهما لارتقاها أربكة الملك، ظلاً يسفان
فروض الصداقة، وبرعيان عهد المودة، ويتبادلان الهدايا
والتذكارات واللحى

ثم دعا ليونتنس صديقه لزيارته، وألح في دعوته، فأقبل
بوليكسينز ليحل ضيفاً على البلاط الصقلي، ولقيه الملك لقاء المشوق
المستهام، وقدمه إلى زوجه هرميون أعز صديق بل أعز شقيق
وأخذاً بتنادران في النهار ويسمران في الليل، ويقص أحدهما
على الآخر ذكرياته، ويستعيدان مَلَح الطفولة ورفائقتها،
ويستعرضان صور الشباب الوارف الفينان، وهرميون أثناء ذلك
تصني إليهما وتقبل على حديثهما ونسرت به، وكان زوجها يوصيها
خبراً بضيغه فكانت تحتفي به، وتبتكر الأساليب لإدخال السرور
على نفسه

واستأذن ملك بوهيميا صديقه في الأوبة، فأبى ملك صقلية
إلا أن يتأبث... فألح ملك بوهيميا وأبى إلا أن يعود... وهنا سأل
ليونتنس زوجه هرميون أن تطلب إلى بوليكسينز أن يتيق... فلما فعلت
لبي ملك بوهيميا، ونزل عند دجائها، وأجل سفره إلى موعد آخر

(١) خدم شارلس لام وأخته ماري لام أدب شاكير بطلخيه نراً
لبسهل تناوله على اقراء. ونحسب أن قراء العربية أولى بملك من الانجليز
وها نحن أولاء نضع بين أيديهم (قصة الشتاء) نغوص فيها لنل شارلس، وهي
من أمتع درامات شاكير التي تخرج فيها الخيال بالواقع، والأسطورة بالحقيقة

لقد نفتت ثمايين الغيرة سمومها في قلب الملك، واحتلكت
الحياة في عيابه، ولم يفتأ يسائل نفسه لمَ قَبِلَ ملك بوهيميا
رجاء هرميون بمجرد أن كلمته، مع أنه لم يقبل رجاءه هو؟
«إن في الأمر شيئاً، وإن وراء الأكمة ما وراءها.. هذا
لا ريب فيه! لقد زاد عطف هرميون على هذا الضيف الثقيل،
حتى شككت في أن يكون العطف حاكاً... وهذه النظرات التي
كانا يتخالسانها في حضرتي... وهذه الضحكات الغضبية التي
كانت هرميون تسقمق بها في هواء المكان الذي كان يجتمعنا
وبوليكسينز...»

وعلى هذا النحوراج الملك يجتر شكوكه ويوسع آفاقها ويطي
في ناراها وقود الظن حتى أنضجت فزاده، وحتى غدا بسببها
وحشاً مضيقاً محنقاً، ينظر إلى هرميون الجميلة اللفتان الحصان
الطهور، نظراته إلى المرأة الفاسقة الساذجة الهلوك وينظر إلى صديقه
العف الحبيب، كما ينظر إلى عدوه الفاجر اللدود
وأرسل الملك إلى أحد رجالات بلاطه — السيد كاميللو —
فبت إليه خبيثة صدره، وأمره أن يدس السم لملك بوهيميا في طعامه
وشاءت العناية ألا يمتثل كاميللو أمر مولاه، وشاءت كذلك
أن يلقى كاميللو بالسر كله إلى ملك بوهيميا، وأن يحذره مغبة
البقاء في ضيافة ليونتنس؛ فيدبران الأمر معاً، ويفران في جنح
الظلام إلى بوهيميا

ويشور نائر الملك لهذا الفرار، ويكبر في روعه فيكون برهاتك
جديداً لما دار في خلدك من شكوك وريب، فيذهب من فورده إلى
مخدع اللكة، حيث جلست تصني إلى قصة طريقة يلقها عليها
ابنها مارميللوس... الطفل اليافع الجميل...

وكان الملك مقطب الجبين عابس الوجه، يضطرب في قلبه
بركان من الغضب، وتندفق في أعصابه سيول من الحُم، فتقدم
كالوحش المجرع فانتزع مارميللوس، وأسله لن يمتي به...
ثم أمر فسيقت اللكة إلى غيابة السجن

بولينا إلا استكباراً ، فأمر زوجها أن يذهب بها من بلاطه ...
وأن يتركها إلى شيطانه

ثم دعا الملك إليه أنتيجونوس - وهو زوج بولينا -
فأمره أن يحمل الطفلة إلى البحر ، وأن يقطع بها ليركها عند
أول شاطئ ودبنة مظلومة بين أيدي القضاء والقدر

وأمر الرجل النبي بأمر الملك ، فحمل المولودة في يديه
الجبارتين ، وألقاها على صدره الصخري ، ومضى بها إلى البحر !

وهكذا فصل الملك بينه وبين قطعة فؤاده في ثورة الغضب
الجامح ، غير منتظر عودة رسولييه بنووة أبولو من دلفوس

ولم يكن بحسبه هذا ، بل أمر بقضاء الملكة وذوي الرأي
فيها فاجتمعوا في حشد عظيم لمحاكمة الملكة .. لمحاكمة هرميون ..

بأعين الرعية ، وعلى ملا من الجمهور

ولفظت ألسن السوء بما اتهم به الملك زوجته ، وراجت ،
شائعات الضلالة ، وأصرع الناس من كل فج ليشهدوا ملبكتهم

التقية النقية تقف موقف الاتهام الوضع ، والشك المزري ،
ثم لتسمع بعد هذا الحكم الذي لا تدرى هل يكون عليها أم لها

وصمت الناس حتى لكأن على رؤوسهم الطير

وجلس القضاء فوق المنصة الكبرى وليس في خد أحدهم

قطرة من دم

وصدى البريق في عيونهم فانبعث منها ظلمات من ورثها
ظلمات !

وفقر الناس أفواههم حين شاهدوا الملكة المظلومة تبكي ،
وهي برغم بكائها جملة قيناة ريانة رائحة ... لأنها بريئة

وحضر الملك فلم يتحرك أحد لقائه ... وجلس فوق عرشه
المسلف ، وأخذت نظراته تريغ هنا ، ثم تشردهناك ... كنظرات

الدب قد فجأ ضبع ! !

وحينما دق كبير القضاء بيده على المنضدة مؤذناً بيده
المحاكمة ، شهد الناس سيدين من خيرة ساداتهم يشقان الجموع

المحتشدة ، ويذهبان إلى هيئة المحاكمة سعدا ، ثم يتجهان ناحية الملك
أوه ! ! إنهما كليومين وديون قد عادا من دلفي !

تري ماذا في هذا الظرف الكبير المحتوم بخاتم كاهن
أبولو الأكبر ؟ !

قال الملك : « افتح يا كليومين بإذني ، واتل على الناس
نبوءة دلفي ! !

وأرسل الملك سيدين من رجاله - كليومين وديون - إلى
دلفوس ليستوحيا له كهنة أبولو في أمر زوجته ، وفي حقيقة
ما اتهمها به ... هل صحيح أنها خانت مع صديقه ، أم هي براء
من هذه الجريمة الشنعاء ؟

في تلك الليلة من الدموع ، وفي هذا الليل الزاخر من
الأحزان ، وضعت هرميون في سجنها السجين أنثى ... كانت
سلوى باكية لأما المشجونة ؟

وهكذا ضم السجن ضحية أخرى ... مولودة شقية لا ذنب
لها ولا جبرية ولا إثم ... أرسلتها المقادير إلى هذه الدنيا الموحجة
القاسية لتكون حياتها مأساة !

وكان للملكة صديقة من نساء سادة البلاط تحبها وتخلص لها
الود ، تدعى ليدي بولينا ، زوجة أنتيجونوس الصقلي

فلما علمت بما أجاء الملكة في سجنها من المخاض ، وما تلا
المخاض من وضع ، رقرقت دموع الألم في أغوار قلبها من أجل

مولاتها ، وانطلقت إلى السجن خفية ، فقالت لليدي أميليا :
السيدة الطيبة القلب النوط بها السهر على الملكة : « أحبك

يا عزيزتي الليدي تشركيني في الألم للأأساب الملكة ! » فلم يكن
إلا أن تفجرت الدموع من عيني أميليا جواباً على ما قالت بولينا ..

فقال لها وقد سرها ما رأت من بكائها : « إذن تذكرين لها أنثى
هنا ... وأنثى مستعدة لأن أذهب بالطفلة إلى الملك فأدافع عن

هرميون ، وأنتي إليه بابتته عسى إن هو رآها أن ترقق ماضي
من قلبه ، وتغير ما تدبني من نفسه ، وتظهر له ما خفي عليه

من برهان ربه » فأجهشت أميليا ، ودعت للسيدة ، وشكرت
لها مجازفتها ، ثم ذكرت أن الملكة كانت تفكر في مثل هذا

ودفعت الملكة بطفلها إلى بولينا فذهبت بها إلى الملك رغم
ما حذرها به زوجها من منبة الإقدام على هذا الجنون ، خشية

أن يُبطش بها ؛ فلما مثلت بين يديه كشفت عن المولودة البائسة
فصاحت وأعولت ، ثم وضعتها عند قدميه ، وانطلقت تدفع عن

صديقتها الملكة مارماها به من الفحش ، وطلبت إليه أن يرحم
الطفلة بالمطف على أمها ... وكانت تتدفق في دفاعها كالسيل ،

وترق في استعطافها كالنسيم ، ساكية أثناء هذا وذاك دموعها
تنثرها على كلماتها ، وتنضج بها عباراتها ، عسى أن يلين فؤاد الملك

ولكن الملك وأُسفا لم يزد إلا عتواً ولم يزد ما صمت
١٠٠٣٨

وفض كليومين الظرف الكبير ، ونشر الصحيفة البردية ،
وراح يتلو :

« بريئة هرميون »

« لا وزر على بوليكسينر »

« كاميلو من الرعايا المحلصين »

« ليونتنس ظالم غيران^(١) »

« سيميش الملك بلا وارث إن لم تمد طفله المفقودة »

وتبسم الملك مسهرتًا ، وظن أن النبوءة رجس من عمل
هرميون وتلقين أسدتها ، ثم أمر القاضي الأكبر أن يأخذ
في المحاكمة ليتبين الرشد من التي

وحينما دق القاضي بيده مؤذنًا بدء المحاكمة ، إذا رجل طويل

يقدم حتى يقف تلقاء الملك وهو يلث ، فيقول

— مولاي ! الأمير يامولاي ! ماميلوس !

— ماله يارجل ؟

— ما ... ما ... ت ! !

— مات ؟ وله ؟

— حزناً على أمه الملكة يامولاي ! لقد هاله أن تقف هذا
الموقف لتفصح ظلماً في شرفها وعرضها ... آه يا حبيبي الأمير ...
آه يا أعز الناس على ! !

وزاغت الأبصار كلها ... واستخرط الناس في البكاء ...
ووجع القضاة فلم ينبسوا بكلمة

أما الملكة ، أما هرميون المسكينة ، فقد ذاب قلبها ، ووهى
جلدها ، ولم تنطق أن تسمع أن ولدها الوحيد الحبيب قد لفظ
نفسه الأخير وجداً عليها ، ورماء لها ، فنظرت إلى الدنيا كأنها
تسوخ تحت قدميها ، وإلى السماء كأنها تطوى من فوقها ، وإلى
الناس كأنهم عيون ودموع وقلوب كثيرة مُفجَّمة ... نفرت
منشياً عليها

وانتفض قلب الملك !

وتفجرت في أفواره شكايب الرحمة ، وانسرفت حبرة من
عينه تغل كالهل لتكفر عن خطيئته ... فأشار إلى بولينا ومن
مها من وصيفات الملكة ، فحملها ، وأوصاهن بها خيراً
وأخذ الجمع الحاشد بتمزق أبايد

ولم يحض غير قليل حتى عادت بولينا وفي وجهها سحابة

(١) غيران وسيلار وغيره بمعنى

حزينة باكية ، وفي جسمها رجفة عظيمة ، وفي عينيها دموع
سخينة حرار ... وفي فيها نبي هرميون ! !

ماتت هرميون إذن ، وخلفت هذه الدنيا السمجة الملوثة
بالزبلة وراءها ... خلفتها الملك المنيار المسكين الذي لم تنفعه أن
تتحرك الشفقة في مؤاده حينما سمع بموت وليه ماميلوس ، ولم
ينتفع كذلك أن يؤمن ببراءة هرميون بعد إذ رماها بأثم اللويقات
وذكر ليونتنس طفله التي نفاها وراء البحر مما جلبت عليه
مظنة سوء في أمها من خيال ، فصار شجوه شجون ، واعتاج
فؤاده بهمين ، وود لو يبطي عرشه وملكه لمن يرد إليه الولودة
التي لا يعرف لها اسماً ، ولا يكاد يذكر لها رسماً
ولكن هيات ! فهامى ذي السنين عمر ، والأيلام تكرر ، والملك
المسكين يتظلى بنار الشجوة والشجن ، وينص بالأم الأسى والحزن
فهو من عيشه في سجن ، ومن قصره في قبر ، ومن ضميره في
عناء ، ومن ذكرياته في بلاء ، ومن رعيته في شهود عليه بما
قدمت يده ! !

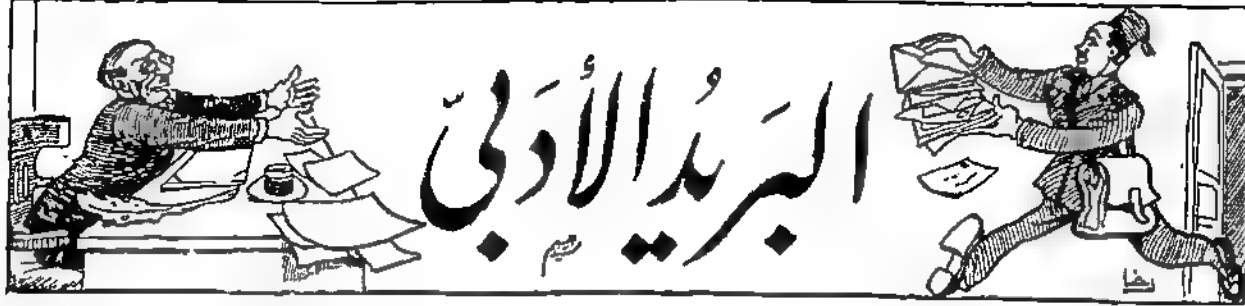
أما أنتيجونوس الذي ذهب بالطفلة وراء البحر ، فقد أقطع
في سفينة دفنهما الرياح ، وما زالت تدفنها ، حتى أرسى على شاطئ
بوهيميا ! حيث يحكم الملك بوليكسينر بأمره ... وهنا ... زل
الرسول الشقي بالأميرة الصغيرة إلى البر ، وما كاد يُصتد في
حدوده حتى لمح غابة قريبة فجعل يذلف نحوها ، وفي ذراعيه
الوديمة المسكينة تبيكي وتصح من الجوع ... أو ... من هذا
الصدر البارد الذي لم يعرف حنان الأم ، ولم يجش فيه لبنها وعجبتها !
وتحت دوحه باسقة وارقة الظلال وضع أنتيجونوس الأميرة
الصقلية ، وعاد أدراجه إلى البحر ... لكنه لم يبلثه ... وكيف
يبلثه وهذا الدب اللتقم قد ترصده ، حتى إذا بسد عن الطفلة
انقض عليه ، وأعمل فيه أنيابه وغالبه ، وظهر ظهر الأرض من
روحه الظلمة الغائلة التي لا تعرف الحنان !

وذهب الدب بعد إذ اغتذى وشبع

وبرز من الغابة رجل راع مجدود^(١) طيب القلب كان مختبئاً
ثمة من الدب ؛ وكان بكاء الطفلة يحز في صدره ويذيه وجداً
عليها ...

واحتملها في يديه الرحيمتين ، وراح ينظر في وجهها الصغير

(١) حسن الخط



محاضر ألماني في القاهرة

دعت كلية الآداب بالجامعة الأستاذ الدكتور أدولف جروهمان لإلقاء بعض محاضرات عن « الإدارة العربية في مصر في القرون الثلاثة الأولى للهجرة » والمحاضر من أعلام الاستشراق في ألمانيا ، وأستاذ الثقافة الإسلامية واللغات السامية بجامعة براغ بنشكوسلوفاكيا ، وهو يعنى بناحية دقيقة في التاريخ الإسلامى وهي دراسة أوراق البردي العربية ، وعلى الرغم مما يكتنف هذه الناحية من البحث من الصعوبات الجمة فقد ظلنا يحفونه التي نشرها في مؤلفاته وفي المجلات الكبرى التي تمنى بالدراسات الشرقية . ومن ثم عهدت إليه الحكومة المصرية بدراسة أوراق البردي العربية المحفوظة في دار الكتب في القاهرة وهو ينوى إصدارها في سبعة مجلدات مع التعليق عليها ، نشر منها حتى الآن ثلاثة باللغة الإنجليزية مع مقارنتها بأوراق البردي اليونانية المتعلقة بهذه الناحية الجديدة بالبحث في تاريخ مصر الإسلامية . وقد ترجم الجزءين الأولين منها الدكتور حسن إبراهيم أستاذ التاريخ الإسلامى بكلية الآداب

ويعجب ، وينظر إلى لفائف الحرير الجميل والدمقس القتل ويطرب ... ثم جلس ليصلح من شأنها ما علمته الأبوة الساذجة فاكتشف كنزاً من در وياقوت وجوهر ، وورقة كانت هرميون قد شبكتها في صدر ثوبها بدبوس وكتبت عليها ... برديتا ... وكلمات أخريات عرف سنن الراعى أن اسم لقيته برديتا ، وأنها من نسل الملوك الصيد

وخفق قلب الرجل واشتد وجيبه ، وابتنس للدنيا وابتنس الدنيا له ، وطبع قبلة على جبين الطفلة فسكنت ... وهروا بها إلى كوخه ... وهناك ...

(لها بقية)

دربنى ضئيلة

وقد تناول الدكتور جروهمان في محاضراته الأولى كور مصر كما كانت إبان مجي العرب معتمداً في ذلك على ما جاء في المصادر اليونانية والسريانية وما عثر عليه في أوراق البردي العربية الموجودة في مصر وفي دور الكتب الأوربية ومكاتبها الكبرى كالمتحف البريطانى ومكتبة بودليان وأكسفورد وسنن ولينزج وغيرها

ومصر كما صورها الدكتور جروهمان في هذه المحاضرة تختلف عن مصر الحالية تمام الاختلاف في كورها وبلدانها ، وتختلف عن مصر القديمة التي وصفها ستانلي ليدبول في كتابه « سيرة القاهرة »

والم الدكتور أدولف في المحاضرة الثانية بالجيزة عند العرب وهو يسوق رأياً طريفاً في الصلة بين كلمة « جيزة » و « كسية » ويتناول فيها نظام الضرائب والحركة المالية في مصر في عهد عمرو ابن العاص ومن خلفه وفي العصر الأموي

والمحاضر الدكتور جروهمان واسع الاطلاع في التفادات العربية والأوربية الحديثة منها والقديمة ، وقد ذلل له بمحبه الشائك نظره في كثير من المصادر الجمة في مختلف اللغات الخاصة بهذه الناحية

ميزانية التعليم في إنجلترا السنة ٣٨ - ٣٩

قدرت ميزانية التعليم في إنجلترا للعام الدراسي ٣٨ - ٣٩ بهذا الرقم المجهز : (٥١٠٠٢٣٣٠) أى بما يزيد على مجموع ميزانية الحكومة المصرية كلها بأحد عشر مليوناً من الجنيهات .. وبما يزيد على ميزانية التعليم في إنجلترا للعام المنصرم (٣٧ - ٣٨) بمبلغ ١٣٤١٦١٠٢ ر ٢ من الجنيهات ؛ وهالك بعض الأرقام المعجبة في توزيع هذه الملايين الضخمة من الجنيهات

٣٥٠٥١٣٠٠٠ ر ٣ للتعليم الأولي والابتدائي (Elementary)

١١٦٨٠٠٠٠ ر ١١ العالي

٧٨٨٧٠٠٠ لعاشات المدرسين

٥١٤٦٥٠ لرياضة البدنية والرحلات

ولم يسبق أن أرصدت إنجلترا مبلغاً كهذا للتعليم إلا في سنة ١٩٢١ - ٢٢ وزيادة ١٢٣٣٥ جنياً على المبلغ الحال

مجلة لكتبة الآداب

لا نكاد توجد جامعة في أوروبا أو أمريكا إلا ولجميع كلياتها علات راقية تمثل الحياة الجامعية وتحديد مدى النشاط الجامعي وتسجله ؛ والجامعة الأميركية المصرية تصدر مجلة التربية الحديثة مقتنية في ذلك بجامعة أوروبا ، ولسنا ندري ماذا يمنع كلية الآداب المصرية من إصدار صحيفة دورية وهي بهذا العمل أولى دور العلم في مصر ؛ وهذه صحيفة دار المعلم تصدر حافلة بالبحوث القيمة وتبأرى فيها أقلام المحدثين

أما كلية اللغة العربية فقد علمنا أنها جادة في إصدار صحيفة باسمها ... ولا غرو ، ففيها وفي دار المعلم تحيا العربية وتتجدد

ضرائب الأطباء في مصر الرومانية

لعل كثيرين من القراء يحسبون أن بدعة تعداد الأمم هي سنة مستحدثة لم تعرفها إلا الشعوب الحديثة . لا . ليس الأمر كذلك . فقد ثبت أن قدماء المصريين كانوا أول من وضع نظام التعداد ، وكانوا يجرونه كل أربع عشرة سنة . ولم يكونوا يقتصرون على تعداد الأنفس فقط ، بل كانوا يحصون كل شيء في الوطن المصري : الناس والحيوانات والنازل والحدائق ودور الصناعة والمدارس والماهات ... الخ ، وكانوا يتخذون من هذا التعداد ميزاناً لقرض الضرائب التي كانت في الغالب قاصرة على الأرض وتجارة الوارد . وكانت ضرائب الأطباء في مصر القديمة مضبوطة عادلة ، لكنها لم تبلغ الدقة المتناهية إلا في زمن البطالسة — فلما غزا الرومان مصر اعتمدوا في ربط الأموال على الأرض على النظام البطلميومي ، وبهرم هذا النظام فاستعملوه في إيطاليا وطبقوه في كل مستعمراتهم ، مستمينين في ذلك بموظفين من المصريين . وقد تنبه العلماء المصريون إلى هذا الموضوع فألفوا فيه كتباً جيدة وأول هذه الكتب ألفه الأستاذ ولكن سنة ١٨٩٩ ، وفي سنة ١٩٣٦ خصص له الأستاذ جونس هوبكنز

مجلة من كتابه (التخطيط الاقتصادي في رومة القديمة) . وقد صدر هذا الشهر كتاب (الضرائب في مصر — من عهد أغسطس إلى عهد ديوقليانوس) مؤلفه العلامة شرمان لي روي ولاس . والكتاب بقاوت غير هذا عصرأ من أسود المصور التي رزحت تحنها مصر والتي كانت تعتبر فيها بكرة حلوباً للدولة المستعمرة أو كما كان يتبعج الرومان فيقولون (القمح في مصر) Corn in Egypt.

فتاة انكليزية تكتب عن مصر

تناولنا في عدد مضى كتاب الست روم لاندو (البحث عن الغد) الذي تناول فيه مؤلفه أثر الدين في الشرق الأدنى ، وبخاصة في مصر والأقطار العربية ، والذي نقل منه الأستاذ العقاد صوراً سريعة لقراء الرسالة في عددها المجري ... وقد كنا نقرأ عنه مصلاً في إحدى المجلات الانكليزية فراقنا من المحرر أن يستدرك على المؤلف أنه لم يندمج في الشعوب التي زارها ، بل قصر مقابلاته على الفئة الراقية ، أو أعلام المثقفين ، الذين يهمهم بالطبع أن — يملوا لمحدثهم صورة جميلة عن بلادهم قد لا تكون صادقة . وأشارت المجلة بهذه المناسبة إلى كتاب طريف عن الفتاة المصرية Newsgirl in Egypt بسد النقص الكبير الذي أخذته على كتاب الست روم لاندو . والكتاب للمؤلفة الاجتماعية النابغة باربارا بورد Barbara Board التي أنت إلى مصر لتشهد حفلات زفاف حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول ، والتي لم تنزل في فنادق القاهرة الفخمة كما يفعل سائر السياح ، بل نزلت ضيفة على عائلة من الفلاحين في بيت ريفي مطل على النيل فكانت تتفلسف منه في صميم الحياة المصرية التي تمثلها غالبية من المصريين الفلاحين . ثم ذهبت المؤلفة من ذلك البيت في رحلة طويلة إلى ... الخرطوم ! فاختلطت بينات جنسها في جميع المدن والقرى المصرية ، ووصفت طبائعهم وأفراحهم وأحزانهم ، وتكلمت طويلاً عن الفوكلور المصري وترجمت منه كثيراً من النكات والأغاني والمواويل وأغاني الزار وأناشيد الذكر وأغاني الكنائس البروتستنتية ...

ولم تهمل المؤلفة نهضة الفتاة المصرية المتعلمة ، بل تناولتها في إسهاب وإطفاًب وإعجاب

تيسير قواعد النحو واسرار الهمز العربية فيه

اقترحت إحدى الدوائر المختصة بدراسات اللغة العربية في وزارة المعارف على الوزارة أن تعنى منذ الآن ، وقبل أن تعنى اللجنة التي تألفت لتيسير قواعد النحو والصرف وغيرها من علوم اللغة في عملها ، بإشراك الأقطار العربية في أعمال تلك اللجنة منذ بدايتها

وبررت هذا الاقتراح بأن مسألة القواعد مسألة لا تتعلق بالمصريين وحدهم ، وإنما هي مسألة جميع الأقطار العربية والمشتغلين بلغة العرب في متباين أنحاء العالم ؛ وإذا أقدمت الوزارة على استدعاء أئمة اللغة ، وذلك بتوجيه الدعوة الرسمية إلى وزارات المعارف في الأقطار التي يمتنعها الاقتراح ، فإن الوزارة تكون قد وفرت على نفسها عناء عرض المقترحات التي تقرها لجنة التيسير على الناطقين بالضاد في المستقبل ، وحتى إذا ما تم عرض القرارات يكون المشتغلون بمثل تلك الشؤون على بينة من الأبحاث والدراسات ، وبهذا يتم تنفيذ ما يقترح في أقرب فرصة

وينظر أن يكون هذا الاقتراح موضع النظر والدراسة حتى إذا وافقت الوزارة عليه وجهت الدعوة إلى الحكومات العربية بتدب الدين يقع عليهم الاختيار لتمثيلها في اللجنة المشار إليها

هذه مصر !

من أمتع الكتب التي أخرجتها المطابع الإنجليزية في الأسبوع الفارط كتابان ، أحدهما عن اليابان وعنوانه : (إلى أين أنت ذاهب : إلى اليابان ؟) للكاتب اللبق وللارد برس Willard Price ، والآخر عن الولايات المتحدة واسمه (نهضة أمريكا والقوة) أو تاريخ حديث لأمریکا : للكاتب المحقق و . ا . وود وارد . والكتابان متشابهان من حيث الموضوع ، وكل منهما يبشر بالوطنية الإنجليزية بين الإنجليز مع ضرب المثل من الخارج كما يعبرون . ومن أدوع ما قرأناه في الكتاب الأول ما ذكره المؤلف عن طرائق وزارة المعارف اليابانية في بث روح الوطنية في نفوس النشء . وأحسن ما ذكره في هذا الباب هو أن هذه الوزارة حتمت أن يكون في صلب جداول توزيع الحصص في المدارس اليابانية حصتان يطلن على كل منهما (حصّة اليابان ١) كما تقول

حصّة الحساب وحصّة اللغة وحصّة التاريخ ... الخ . وفي هذه الحصّة يتناول الدرس أحداث حرة عن الوطن الياباني وعن روح التضحية وعن الأباطور وعن أعداء اليابان وعن الجيش وعن الأسطول والطيران . وقد لوحظ أن هاتين الحصتين سارتا أحب الحصص إلى نفوس الطلاب لما يتناوله المعلمون من هذه الأحداث الحرة ، ولأن امتحاناً لا يعقد فيها يلقنه التلاميذ فيهما فأقول رجال التربية عندنا في إدخال هذا النظام في المدارس المصرية فتكون في جداول توزيع الحصص (حصّة لمصر ؟)

الوعظ السلي في المساجد المصرية

ما تزال طائفة كبيرة من خطباء المنابر في المساجد المصرية تخطب المصلين خطباً سلبية عقيمة تنفيق بها نفوس المصلين ، وأقبح شيء في هؤلاء الخطباء أنهم لا يتون يسبون المصلين الذين بخطبوتهم سباً قد يصرف التمرد من عندهم عن غشيان المساجد بسبب هؤلاء الخطباء الذين يهتمون المصلين بالزنا ومناقرة الخمر وسوء الفهم وقلة الصلاة ... الخ ، ويبدو أن شيئاً من التبعة في هذا ، إن لم يكن أكثرها ، واقع على عواتق هذه الفئة المستنيرة المثقفة من وعظ الأزهر العلماء ... ذلك أنهم لا يعنون بالانصال هؤلاء الخطباء أو جمعهم في صعيد واحد وتلقينهم مبادئ الوعظ الحديث وأساليب الخطابة وطرق الإلقاء ، ثم معاونتهم في تحضير خطبهم ليلحظوا أن يتفوق الجانب الإيجابي فيها على الجانب السلبي . وجبذوا تعاون الأزهر ووزارة الأوقاف فيعملوا على تجديد عقلية هؤلاء الخطباء

الحسين بن علي

مقالة الأديب الشيخ ضياء الدين الدخيلي : (مقتل الحسين وأثره في الأدب العربي) في (الرسالة القراء) — ذكرني بيتين من قصيدة لزيد الموصلي النحوي المعروف بـ (سمرز كنه) في أبي الصم (الحسين بن علي) — رضى الله عنهما — فرأيت روايتهما في (الرسالة) :

فلولا بكاء الزين حزناً لفقده لما جاءنا بمد (الحسين) غمام
ولو لم يشق الليل جلبابه أمي لما أنجابه من بعد (الحسين) ظلام
(الاسكندرية) (***)

مستشرق فرنسي كبير محاضر بالجامعة المصرية

بقي العلامة المستشرق الأستاذ ليفي بروفنسال أستاذ « تاريخ العرب الإسلامى » بجامعة الجزائر والسوربون ونزيل مصر الآن محاضراته عن « الحضارة الإسلامية في أسبانيا » تحت رعاية كلية الآداب

والأستاذ بروفنسال متخصص في تاريخ المغرب والأندلس وله في ذلك عدة مؤلفات وبحوث قيمة نذكر منها « تاريخ أسبانيا في القرن العاشر » و « النقوش العربية في أسبانيا » و « بالفرنسية » و « فهرس المجموعة العربية بمكتبة الاسكوريال » كذلك وفق الأستاذ بروفنسال إلى إصدار طبعة جديدة لتاريخ دوزي الشهير عن الأندلس وإصدار الجزء الثالث من تاريخ البيان المغرب لابن عذارى ، وهو الآن بمنى بنشر مؤلف أندلسي نفيس برعاية الجامعة المصرية هو « كتاب الدخيرة » لابن بسام عن نسخة كاملة وفق إلى اكتشافها

وسيق الأستاذ بمصر بضعة أسابيع أخرى إجابة لدعوة الجامعة المصرية

المجلس الدولى لعلوم الحضارة العلمية

طلب المجلس الدولى للاتحادات العلمية في لاهاي إلى الحكومة المصرية أن تتخذ التدابير لكي تكون الهيئات العلمية في مصر على اتصال به ، تأييداً للروابط العلمية والثقافية ، ورغبة في تبادل الآراء والنظريات

وقد أحيل هذا الطلب إلى وزارة المالية ، فوقع اختيارها على الدكتور حسن صادق بك المدير العام لمصلحة المناجم والمساحة ليكون رابطة الاتصال العلمية بين مصر وهيئة هذا المجلس الدولى

ومما يذكر أن هذه الهيئة تبحث في العلوم المختلفة كالعلمك وطققات الأرض والجغرافيا وغيرها

خطأ في نسبة شاعر نثرى

ذكروا من شواهد الأسلوب الحكيم قول القبعثرى للحجاج « مثل الأمير يحمل على الأدم والأنهب » وقد قال له الحجاج متوعداً : « لأحلك على الأدم » يريد به القيد لا الفرس الأدم ، وأول من نسب هذا إلى القبعثرى الخطيب القزوينى في كتابيه

(تلخيص المفتاح ، والإيضاح) وتبعه في ذلك أصحاب الشروح والخواشي ، وذكروا أن القبعثرى كان من رؤساء العرب وفصحاءهم ، ومن جملة الخوارج الذين خرجوا على الإمام على رضى الله عنه

والحقيقة أن هذه النسبة خطأ ، وأن هذه المحاور كانت بين الحجاج والنضبان بن القبعثرى الشيباني ، لا القبعثرى نفسه ، وقد ذكر هذا أبو المباس أحمد بن عبد المؤمن الشيرينى في شرح مقامات الحريرى (١٢٧ ج ٢) وذكره الجاحظ في البيان والتبيين (٢٠٠ ج ١)

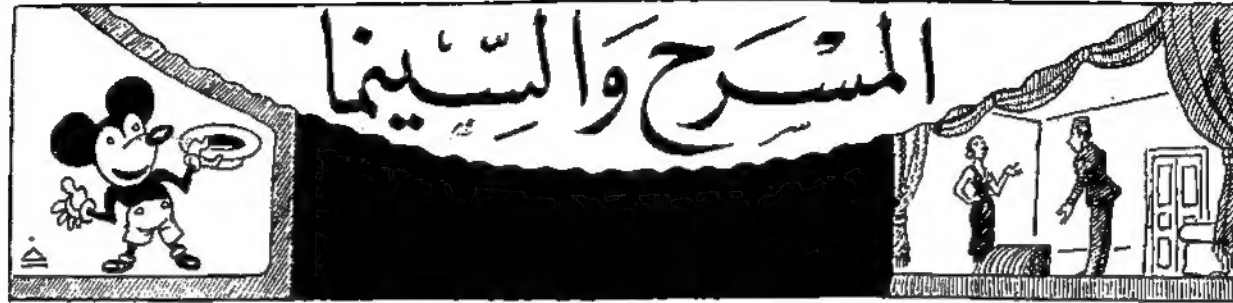
والحقيقة أيضاً أن النضبان بن القبعثرى لم يكن من الخوارج المروفين ، وإنما كانت تهمة عند الحجاج أنه أرسله إلى عبد الرحمن ابن محمد بن الأشعث ليأتيه بخبره حينما بلغه خروجه عليه ، وقد كان مع عبد الرحمن سعيد بن جبير والشعبي وغيرها ممن لم يكن من أولئك الخوارج الذين خرجوا على الإمام على وغيره ، فلما وصل إلى عبد الرحمن قال له : ما وراءك يا غصيان ؟ قال : شر طويل ، تمد الحجاج قبل أن يتمشاك ، ثم انصرف إلى الحجاج وكانت مقالته قد وصلت من جواسيسه قبل أن يصل إليه ، فأمر به فوضع القيد في رجله ثم سجنه عبيد المتعال الصعبرى

نصريب

وقع في قصة (هجرة معلم) للأستاذ على الطنطاوى في العدد الممتاز أخطاء مطبعية غيرت المعنى هذا صوابها :

الصفحة السود السطر

٥١٠	٢	٢٩	فيكون (صوابها) فيلسون
٥١٤	١	٧	الصلاء (») الصلاة
٥١٥	١	٢٣	بأشجارها الزهرة ، وطيبها وعطرها — (سقطت منها جملة هذا صوابها) : بأشجارها الزهرة المتعاقبة ، وأدواحها الباسقة ، وعيونها النافقة ، وأنهارها الرائقة ، ووردها وزهرها ، وعنبها وخمرها ، وطيبها وعطرها ، وفتونها وسحرها
٥١٦	١	٢٥	الذابة الساذجة (صوابها) الذابة السامية
٥١٧	٢	٢٦	أين هذا من ذاك (») أين هذا من دارك



الفرقة القومية

برنامجها ورواية طيف الشباب

عادت الفرقة القومية إلى إغمام موسمها الثالث وقد افتتحته بتمثيل رواية « طيف الشباب » لؤلفها الأديب الدائع المصيت مارسيل بانيول ترجمة الأستاذ أحمد بدرخان

أرجى الكلام عن موضوع هذه الرواية ، لأن ظاهرة غريبة ظهرت في الفرقة حملتني على الوقوف حيالها موقف الواجم المبهوت . وبيان الاستغراب في هذه الظاهرة أن الفرقة بشرتنا بأنها ستتحققنا بتمثيل انثى عشرة رواية في الفترة الباقية من الموسم وهي لا تزيد على الشهر الواحد إلا بضعة أيام فقط ، وأن أربعة من هذه الروايات وضعت وترجمت حديثاً ، والثمانى الروايات الباقية مثلت من قبل

للإدارة الفنية في الفرقة القومية الحرية في استعادة تمثيل الروايات الناجحة ، ولكن ما بالك بالروايات الموضوعة التي سيماد تمثيلها وهي التي بلغت من تفاهة المعنى وسخف البنى ، وهزال الفن مبلغاً حفز جميع النقاد المسرحيين بدون استثناء إلى ابداء استهجانهم لها وعدوا قبول الفرقة إياها لا يتفق وتقدير فن التمثيل ، ولا يحقق الغرض الثقافي الذي رمت إليه وزارة المعارف من إنشاء الفرقة ؟

ما هو السري يترى في عودة الفرقة إلى احتضان هذه الروايات وإحيائها من جديد ؟ بل ما هو الباءت على جمع دم روايتي « اليتمة » وبناتنا سنة ١٩٣٧ « وكان الواجب أن تبقى مدفونة في الرماد ؟ أهو التحدى للنقاد وإهمال آرائهم ودراساتهم أم الاستهتار بالغاية الثقافية التي أسست الفرقة من أجلها ؟

نحاول أن نجعل الفرقة عن هذا التدهور ، ونؤثر لها السلامة على التورط في الغمرات ، ولكن الواقع صارخ لا سبيل إلى السكوت عنه

ليس الطريق إلى معرفة نجاح الرواية أو فشلها هي القروش التي يجمعها بائع التذاكر ، أو حشر ردهة الأوبرا ومقاصيرها بعارف هذا الممثل أو أصدقاء ذاك الموظف ، ولا بالمقالات المأجورة التي تنشر كالأعلانات

لا ، ليس السبيل إلى ذلك إلا بالاستماع إلى أقوال الناقدين والأخذ بالرأى الناضج

كنت أؤثر الكلام عن رواية « طيف الشباب » لسببين : الأول أن المترجم متشبع بروح المؤلف ، لم ينجح عن البساطة في الكلام الذي يعرب به عن الغاية من الفكرة الأساسية ، ولم يطمس معالمها بالألفاظ المتعقبة النائية التي يتوسل بها فقراء القهمن عشاق التزمت

والسبب الثاني أن المترجم فنان سينمائي ، يحسن الاختيار ويقدر ما هو صالح ونافع تقدير فنان خبير ، يصطفى بعقل وتذير الرواية التي تجمع بين المعنى والمبنى ، والفكر والمصينة

كان يطيب لي أن أهيب بالفرقة أن توكل اختيار الروايات الغريبة إلى أمثال الأستاذ أحمد بدرخان وترجم بسلاسة وبساطة كما ترجمها هو ، وأن أقول لها أشياء أخرى عن الروايات الموضوعة التي تخطيط فيها تخطيط الضال في غابة كثيفة بليل مدلم الظلام ولكن مالى أنصح الفرقة وأهديها ، ما فائدة الكلام في إدارتها ورجال لجائها ، في تمثيلها وممثلاتها ؟ لم العناية في ذلك ؟ بل ما الفائدة منه مادامت تعمل وفق البداوات والنزوات ؟ ولم لا أقول لها أنت خير الفرق التي ماتت وأفضل الفرق السائرة في طريق الموت ؟

مهيوب الزهرورى

كيف تكتب قصة الفلم ؟ بقلم محمد علي ناصف

قصة الفلم : تعتبر قصة الفلم أهم النواحي الفنية فيه ؛ فإن من اليسر الآن أن نجد لأي فلم المخرج الذي يؤمله ، والمدير الذي يتفهم إدارته ، والممثل الذي يحسن تمثيله ، ولكن ليس من السهل أن توفى إلى السيناريو الجيد الذي يبنى عليه عمل كل من هؤلاء ؛ ويقولون إن القصة الضعيفة تقتل النجم الكبير A weak story kills a great star وهذا القول لم يكن على هذه الدرجة في بدء صناعة السينما حيث كان الممثل هو الأول وآخر من يحفل به ؛ ولكن أهمية الكاتب أصبحت ملموسة بعد أن صار الفلم ناطقاً ؛ وبعد أن ارتقت السينما وأخذت انبجها أدبياً رفيعاً يظهر أثره يوماً بعد يوم

فن نتاج القلم الناطق أنه أشرك الأذن مع العين في تذوق فائدة السينما ؛ والأذن - علمياً - أشد انتقاداً من العين ، لأنه من الجائر ألا تلمح عينك قبح وجه مخفيه طلابه من جنين جميل ، ولكنك إن تستطيع أن تحمل أذنك على الإعجاب بقول قبيح تستمعه في مناسبة جميلة

وقد أصبح الحوار في الأفلام بعد تثقيفها من الخطورة بمكان لأنه يساعد الصورة على التعبير ، وقد يكون في كثير من الأحيان أهم من نفس الصورة ؛ ولقد شاهدنا فلم « روميو وجوليت » فكان إخراجة قوياً وتمثيله رائعاً وتصويره جيلاً ، ولكن كان أهم ما بالفلم حكم شكسبير التي أطلق بها أشخاص روايته الخالدة كاتب الفلم : بخطى من يحب أن كل من له دراية بكتابة الرواية أو المسرحية أو كل من له اسم كبير في عالم الأدب يمكن الاستفادة منه في كتابة قصة الفلم ؛ وقد وقع في هذا الخطأ كثير من المشتغلين بالأفلام في بدء عهدها فتناقد هؤلاء مع موديس مترلك ، أرنولد بنيت ، سيرجلبرت باركر ، سومرست موغلام ، أليينور جلين ، كدنان دويل وغيرهم ؛ ولكن واحداً من هذه العقود لم يجدد مرة أخرى ؛ وقد أصبحت حقيقة ملموسة أن أشهر كتاب القصة السينمائية ليسوا من الأسماء المروفة في عالم الأدب إلا أن تكون الشهرة الأدبية قد جاءت ملحقة بالشهرة السينمائية ولقد افتتح جميع الكتاب العاصرين الذين تخرج مؤلفاتهم في السينما بأن كتابة الأفلام شيء يختلف عن كتابة الكتب فسلم أكثرهم مؤلفاتهم إلى أبدى كتاب الاستديو من غير قيد ولا شرط

محمد علي ناصف

بنك مصر

انعقدت الجمعية العمومية العادية لمساهمي بنك مصر . وبعد التصديق على تقرير مجلس الإدارة وعلى الحسابات .. قررت الموافقة على صرف مبلغ ٣٢ قرشاً لكل سهم ابتداء من يوم السبت ٩ أبريل سنة ١٩٣٨ نظير تقديم الكوبون رقم (١٧) إلى مركز البنك الرئيسي بالقاهرة . أو إلى أحد فروعها بالأقاليم القاهرة في ٢٦ مارس سنة ١٩٣٨

مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محل

بشارع الصناديق بميدان الجامع الأزهر

تم طبع كتاب شرح صحيح البخاري للشيخ المحدثين الكرمانى

٢٥ جزءاً ثمن الجزء ٦٥ ملياً

التفسير الكبير للإمام الفخر الرازى

تم منه ٥ أجزاء وسيصدر تباعاً كل شهر جزآن

ثمن الجزء ٦٥ ملياً

مصحف شريف جوامع ٢٠٠ ملياً

مصحف شريف أوضح التفسير ١٢٠ ملياً

كتاب فتح الباري شرح البخاري لابن حجر العسقلانى

١٣ جزءاً ثمن الجزء ١٠٠ ملياً وذلك خلاف البريد